علي أحمد باكثير

إبراهيم باشا

مسرحية في ثلاثة فصول

ومسرحيتان أخريان

الناشر

دار الفكر العربي

ابراهيم باشا

رسول الوحدة العربية

مكان الرواية : مصر وسوريا والآستانة

زمان الرواية : أوائل القرن التاسع عشر

أشخاص المسرحية

ابراهيم باشا . . . . . بطل المسرحيّة

بشير الشهابي . . . . . أمير جبل لبنان

الكولونيل سيف . . . . سليمان باشا الفرنساوي

سرحان . . . . . فارس نجديّ جعله ابراهيم باشا في حرسه الخاص

صابر . . . . . جاسوس متملق من جواسيس الدولة

نعمان . . . . . قتل أبوه بأمر ابراهيم باشا لمناصرته لعبدالله باشا والي عكاء

ثامر . . . . . أخو نعمان

زيد وخالد . . . . . ابنا عم نعمان

الأمير عباس باشا . . . ابن أخي ابراهيم باشا

احمد بك المنيكلي . . . من قوّاد ابراهيم باشا

رشيد باشا . . . . . الصدر الأعظم قائد جيوش السلطان

مصطفى بربر . . . . . من زعماء الشام

الطبيب . . . . . طبيب ابراهيم باشا الخاص ومساعداه

جماعة من أبناء عمومة نعمان . . . . . .

ضباط وجنود مصريون وحجاب . . . . . .

فتى سوري متظلم من أحد الجند . . . . . .

الفصل الأول

فى قصر ابراهيم باشا بالجيزه — فى قاعة الاستقبال — قاعة كبيره مستديرة على جدرانهـا نقوش فنية وكلها مفروش بالسجاد الثمين — تمتد على جوانبها أرائك مفروشة بالمخمل الأخضر وفوقها وسائد مبطنة بالحرير . للقاعة بابان أحدهما من جهة اليمين وهو الباب الذى يدخل منه الضيوف من الخارج والآخر على يسار المسرح وهو يصل القاعه بسائر القصر .

يرى ابراهيم باشا جالساً على الأريكة فى صدر المسرح وهو يدخن الشيشة وينفث دخانها فى هدوء وينظر اليه وهو يتصاعد فى الهواء نظرة الحالم . ويبدو مدة كأنه مستغرق فى فكر عميق .

ابراهيم : (كأنه يحدث نفسه)

أترى الأيام تحقق هذا الحلم الجميل ؟ مصر وفلسطين والشام والرافدان ونجد والحرمان الشريفان والمغرب من أدناه إلى أقصاه والسودان وأرض اليمن . شعب واحد ينطق بلسان واحد ويسير إلى هدف واحد . أبشرى . . أبشرى يامصر ، ستكونين فخر الشرق وحاضرة الأمم العربية . إن الوطن العربىّ الأكبر يثّاءب اليوم كى يستيقظ من نومه الكهفىّ الطويل . أتراه يقوم على ساعدى فينزلنى التاريخ مكاناً ما ناله قبلى هرون الرشيد ؟

(يدخل الحاجب ويقف دون الباب منحنياً)

ابراهيم : (يلتفت اليه) ما ورائك .. هل قدم الضيف ؟

الحاجب : نعم يامولاى

ابراهيم : ائذن له بالدخول

الحاجب : سمعاً يامولاى (يخرج)

(يضع ابراهيم شيشته وينهض من أريكته حتى يقف قرب الباب)

(يدخل الأمير بشير الشهابى أمير لبنان)

بشير : السلام على مولاى الباشا

ابراهيم : (يصافحه بحرارة) وعليك السلام ورحمة الله . . مرحباً بالصديق العزيز . تفضل

(يأخذ بيده حتى يجلسه على الأريكة بجانبه)

بشير : شكرا يامولاى الأمير . كيف حالك وكيف حال مولانا الوالى — أيده الله

ابراهيم : بخير ولله الحمد . وكيف أنت ياأمير الجبل ؟

بشير : لا أحسب حالى يسرك يامولاى فلم يزل حال المعزول الطريد كما عهدتنى بمصر منذ تسع سنين

ابراهيم : أمّا أنك كنت معزولا فهذا حق ولكنى أشك أنك كنت طريدا فى وادى النيل الذى كان سعيدا بايواء مثلك

بشير : صدقت ياسيدى . ما كنت طريدا بمصر فقد كادت تنسينى بلدى مما بالغت فى إكرامى والحفاوة بى . إنى عاجز عن شكر أيادى أبيك العظيم وأياديك

ابراهيم : لم نفعل سوى ما أنت أهل له يا أمير الجبل

بشير : والله لقد ضمّدتم جراحى إذ ذاك وأشعرتمونى أنّ لنا أبناء العرب بمصر ملاذا من الجور الاعجمىّ

ابراهيم : لاتنس أننا كلنا فى معاناة هذا الجور سواء

بشير : بل مصر أسوأ حالا منا لقوتها بالقياس إلى ضعفنا . . أو ليس عجبا أن تبقى مصر تابعة للقوم ولا نخشى دولة القوم إلاّ بقوة مصر ؟ قد يهون القيد على المستضعف أما القوىّ فلا

ابراهيم : (يطرق هنيهة ثم يرفع رأسه) أى والله ياصديقى ما عدوت الحق

بشير : ليت شعرى متى تتخلص أقطارنا من هذا النّير الثقيل ؟ (يتنهد) ويلهم . . نفونى من أرض آبائى

ابراهيم : أما زلت تذكر هذا النفى وقد رجعت إلى بلادك ؟

بشير : هل رجعت إلى بلادى إلا بشفاعة أبيك حفظه الله ؟ وهل أقمت بها إلا ذليلا منذ ذلك اليوم ؟

ابراهيم : لن يطول مقامك فيها على ذل طاعتهم حتى نستنقذها منهم ونشردهم عن حـــدود بلاد العرب . إن مصر والشام لصنوان يكمل أحدهما الآخر منذ عهود الفراعنة السابقين لا يستغنى واحد منهما عن أخيه

بشير : ليت هذين البلدين يتحدان تحت ظلكم

أبراهيم : بل أذهب إلى أبعد من ذلك ياصديق . إن هذه الشعوب التى تتكلم بالعربية من أقصى السودان إلى طوروس ومن بحر الظلمات إلى البحر العربى وشط العراق لمن حقها أن لاتبق هكذا متناكرة تحت هذا الحكم البغيض . لابد لها من يوم تعرف فيه سؤددها المسلوب وتجمع فيه الأمر فويل يومئذ للطغاة المستعبدين

بشير : ماأعلى همتك ياسيدى وأبعد مرماك

ابراهيم : إنّا لن نغلب من قلة أبداً . فنحن اليوم لانتقص عن أمة النمسا أو شعب فرنسا أو الأمة الانجليزية . ولدينا من تاريخنا القومىّ ومن روح الاسلام ومثله العليا مايجعلنا قوة لاتقوم لها قوة فى الأرض

بشير : ليتكم ماقضيتم على الوهابيّين بنجد، إذن لعسوا أن يكونوا عونا لكم فى هذا الأمر . فقد كانوا شوكة أخرى فى جنب السلطان فانتقشها بكم . سلّطكم عليهم ليقضى عليهم ثم عليكم

ابراهيم : إن ماقلته لصحيح ولكنا كنا فى ظروف قاهرة حملتنا على إرضاء السلطان من جهة وعلى تحقيق سلامة مصر من جهة أخرى . وأنا المتحسر بعد على ماحل بهم منى

بشير : أو ياليتكم إذ قضيتم عليهم عفوتم عن أميرهم عبد الله بن سعود فما كان جديرا أن يساق إلى القوم ليصلبوه ويمثّلوا به

ابراهيم : كنا نظن اليوم أكرم من أن ينالوا من خصم قد دان لهم وأتاهم ضيفا عليهم، ومادار بخلدنا أنهم يرفضون شفاعتنا فى ذاك الأمير الشهم . ولكن ليس هذا بأول رجاء خاب لنا فى هذا السلطان. والله لضاعف مقتل عبد الله كراهيتى لهم . والله لأنتقمنّ له منهم

بشير : نعم الأخ ينتقم لأخيه

ابراهيم : أجل كان عبد الله عزيزا علىّ . ولو رأيتنا وقد تصافحنا بعد القتال وتصافينا بعد العداء لرأيت عجبا . كان — رحمه الله — يزورنى ويسمر عندى فى المخيم فنحتسى القهوة العربية معا ونتذاكر فى شئون البلاد العربية وتوحيدها فيشتعل حماسة ويحرضنى على الثورة والاستقلال ويدعو لى بالنجاح . وما أنس من الأشياء لاأنس قوله لى « إنالم نألك يا ابراهيم قتالا . ولكن لعلّ الله اختارك لتقوم لأهذا امر »

بشير : كيف وجدت يا سيدى أبناء نجد ؟

ابراهيم : لم أر فى حياتى أشجع ولا أكلب على القتال منهم، وإن نساءهم ليقاتلن معهم ويحرضن الرجال فيستميتون فى القتال . وما شهدت امرأة أشجع ولا أعقل من غالية الوهابية . وإن ابنها اليوم لعندى

بشير : ابنها هنا فى مصر ؟

ابراهيم : نعم، بعثته أمه إلىّ من نجد ليقاتل معى لما بلغها عزمى على غزو الشام .

بشير : ما سمعت حديثاً أعجب من هذا

ابراهيم : أتحب أن تراه ؟

بشير : لو تكرمتم يا سيدى

ابراهيم : (يدق جرساً عنده)

(يدخل الحاجب)

الحاجب : مولاى

ابراهيم : ابعث من يدعو لى سرحان النجدى

الحاجب : سمعا يا مولاى (يخرج)

ابراهيم : إنه شاب شجاع سيعجبك ، وقد بلوته فوجدته ممن يوثق به

بشير : ولكن كيف بلغ أم هذا الشاب عزمك على غزو الشام ؟

ابراهيم : لهذا حديث طريف يا بشير . جاءتنى غالية يوماً بابنها هذا وهو غلام أثناء مقامى بنجد فقالت لى « هذا ابنى الوحيد قد وهبته لك ليجاهد معك فى سبيل العرب » فشكرتها وقلت لها أبقيه لديك حتى يشتد ساعده . فما زال هذا الغلام يكاتبنى من يومئذ حتى استقدمته فقدم من نجد

(يدخل الحاجب)

الحاجب : بالباب حضرة الكولونل سيف يا مولاى

ابراهيم : ليدخل فإنا فى انتظاره

(يخرج الحاجب)

قد بعثت اليه ليراك يا أمير الجبل

(يدخل الكولونل سيف)

الكولونل سيف : السلام عليكم

ابراهيم : وعليك السلام . أهلا بصديقى سليمان

الكولونل سيف: لعلى جئت فى الوقت المطلوب يا مولاى

ابراهيم : لا شك فأنت ممن يحافظون على مواعيدهم بالدقيقة

(للأمير بشير) أيسرك يا صديقى أن تعرف قائدنا الفرنسى المسلم ؟

بشير : الكولونل سيف يا سيدى ؟

ابراهيم : نعم . . أتعرفه ؟

بشير : قد سمعت به . وبخبرته الحربية

ابراهيم : الأمير بشير الشهابى أمير جبل لبنان يا كولونل

سيف : « يصافح بشيراً » أهلا . . تشرفت يا أميرى

(يجلس سيف إلى جانب بشير)

إبراهيم : سيكون الكولونل سيف عوناً لنا على فتح سوريا إن شاء الله . أليس كذلك يا سيف ؟

سيف : أنا طوع يمينك يا مولاى

بشير : سيف ماض فى خير يمين !

ابراهيم : إنه يا بشير ليؤمن كل الايمان بالوحدة العربية

بشير : أتراها ممكنة يا جناب القائد ميسورة ؟

سيف : هي ياسيدى حركة طبيعية لا يعوزها إلا حسن التدبير وصدق العزم لتبرز من عالم التفكير إلى عالم الواقع . مازلت بها مؤمناً منذ سمعت النسر الفرنسى نابليون يقول بها

بشير : عجباً .. هل كان نابليون يقول بالوحدة العربية ؟

سيف : نعم لقد رأى نابليون ببصيرته النافذة أن هذه الدولة لا بد من شطرها شطرين وأن بلاد الضاد لأحرى أن يستقلّ بها ملك عربى. وأن محمد على باشا هو أولى الناس بهذا الأمر . سمعته يقول هذا بأذنىّ هاتين

(يدخل سرحان)

سيف : (يلتفت اليه) وهذا الفتى النجدىّ دليل حىّ على إمكان وحدة العرب

سرحان : السلام عليكم ورحمة الله

سيف : وعليكم السلام ورحمة الله

سرحان : هل دعوتنى يامولاى ؟

ابراهيم : نعم ياسرحان، دعوناك لترى ضيفنا العزيز أمير جبل لبنان

سرحان : (يصافح ابراهيم باشا فالأمير بشير فسيف)

(للأمير بشير) أهلا بك ياسيدى

بشير : مرحبا بك يا بنيّ . هنيئاً لك إعجاب سيدى الباشا بك وثقته فيك

سرحان : شكراً لك يا سيدى ، إنى لفخور بثقة مولاى ابراهيم

إبراهيم : تفضل ياسرحان اجلس

سرحان : (يجلس) شكراً يامولاى

ابراهيم : أين كنت ياسرحان ؟

سرحان : كنت فى تدريب الجيش يا مولاى

ابراهيم : (لسيف) أأنت راض عن سرحان ياسيف ؟

سيف : كل الرّضى يا مولاى ، لكأنه يتعلّم الفنون العسكرية بالغريزة وهو اليوم أمهر رام وأكبر فارس

ابراهيم : لا غرو فقد ارتضع الشجاعة والفروسية من أمه البطلة (يلتفت إلى سيف) كيف سارت شئون التدريب يا سيف ؟

سيف : سيراً حسنا يا مولاى

ابراهيم : كيف ترى الجنديّ المصريّ ياسيف ؟ هل ينقص فى شىء عن الجنديّ الأوربيّ

سيف : كلا يامولاى بل هو أصلب عودا وأصبر منه وأطوع

ابراهيم : أو ما تلقى عنتا فى التّدريب الحديث ؟

سيف : كلّ مستحدث صعب ، لكن كلّ صعب يامولاى على الأيّام يهون

ابراهيم : أتصدق ماقيل إنّ وداعة سكان الوادى لاتهيئهم للحرب؟

سيف : لا يامولاى فما هو الا بهتان وزور . أو لم يطرد أحمس الهكسوس بهم ؟ أو لم يستولوا على الشام حتى أعالى الفرات ؟ أو لم يدفعوا هجمات التتار عن الشرق العربىّ ؟ أو لم يقفوا سدا فى وجوه الصليبيّين ؟ إنما فقدوا الروح الحربيّة واستخذوا منذ خضعت مصر لملوك آل عثمان

ابراهيم : ليت شعرى متى نستغنى بأبناء مصر عن عصابات الأكراد وفرق الأرنؤوط ؟

سيف : سترى قريبا منهم ما يسرّك يامولاى

ابراهيم : أو لست ترى أنّ الترك أشجع فى المعمعان وأمضى على الأهوال ؟

سيف : ان الجندىّ المصرىّ لشجاع ، ولكنه ليس بالعتلّ الذى يستمدّ شجاعته من غلظته وبلادة حسّه . وقد أعلنت حملته البحرية إلى اليونان كفايته وكفاية أسطوله للعالم أجمع

بشير : لقد كان الغرم على مصر فى تلك الحملة اليونانية وكان الغنم للسلطان كدأبه . فلو كنتم رفضتم أن تعينوه فى الحرب اليونانية وغزوتم سوريا إذ ذاك استنجازا لسابق وعده لكان ذلك خيراً لمصر وللعرب

ابراهيم : ولكن لا تنس يا أمير الجبل أن الشهامة الأسلامية تأبى

علينا أن يستنجدنا السلطان على العدوّ المشترك فلا ننجده
— بله أن نغتنم الفرصة فنطعنه من الخلف

بشير : صدقت ياأمير النيل ولكنه لم يف بوعده لكم . ولا يستحق النصرة من لا يوفى بالعهود

ابراهيم : أجل، بيد أنه وعدنا حينئذ مرة ثانية بضم الشام الينا اذا نصرناه على اليونان ولم نكن قد يئسنا اذ ذاك من وفائه بالوعد

بشير : واليوم؟

ابراهيم : أما اليوم فليس بيننا وبينه الا القتال حتى يفى لنا بما وعد

سيف : هل لى أن أقول كلمة بصدد الحملة اليونانية ؟

ابراهيم : قل ما تشاء ياكولونيل

سيف : أريد أن أقول إن مصر وإن خسرت فى تلك الحملة ماديا فإنها لم تخسر أدبيا بل أستطيع ان اقول إنها ربحت

ابراهيم : نعم قد أفدنا منها أن عرف الأشهاد بطولة جيشنا ورأوا بأسه فى تلك الميادين

سيف : وكان النصر المحقق معقودا بلواء المصريين لو لم تقف دول الغرب فى صف اليونان

ابراهيم : (يتنهد) ويل للدول الغربية: ماأحلى وعودها لنا وما ألهجها بصداقتنا ما احتاجت الينا حتى اذا اشتبكنا مع إحداها

تالب سائرها علينا ونبذت ما بيننا وبينها من الصداقة وراء ظهرها

بشير : أما زلتم ترجون ياسيدى أن يفى السلطان لكم بوعده ؟

ابراهيم : لا أرجو ذلك فقد طالما نصحناه وهددناه فلم ينفع فيه النصح ولا التهديد

بشير : إذن فماذا تنتظرون ؟

ابراهيم : لانتنظر شيئا إلا إعداد جيشنا واستكمال عدده وقد فرغنا من ذلك اوكدنا وما استقدمناك من بلادك إلا لنرى رأيك فى هذا الأمر

بشير : أما من جهتى فما أظنكم تشكون أننى سأنصركم بكل ما أملك من حول وقوة. إنى أعدك ياسيدى وعدا جازما بأن الجبل كله سيكون معكم على عدوكم

ابراهيم : شكراً لك يابشير . لاشك عندنا فى نصرتك ولكننا نريد نصرة الآخرين

بشير : إنك تعلم ياسيدى أن الشام كله يئن من ظلم الدولة وجور ولاتها وأن مجيئكم فرج لهم فلا ريب أنهم سيكونون عونا لكم على حكامهم الظالمين

ابراهيم : ما رأيك فى قبائل بادية الشام ؟

بشير : هؤلاء خير من يستنصر بهم على الدولة لقسوتها فى معاملتهم

فلن يكادوا يسمعون بقدمكم لمحاربتها حتى يعرضوا أنفسهم للقتال معكم وناهيك بشجاعتهم وبلائهم فى الحرب

ابراهيم : اذكر لى بعض القبائل الثائرة على الدولة هناك

بشير : جميع قبائل البادية فى حكم الثائرة على الدولة إلا أن بعضها أشد عليها من بعض

ابراهيم : أيها أقوى وأشد شكيمة على الدولة ؟

بشير : لعلها قبيلة عنزة

ابراهيم : أهى التى يدعى شيخها الشيخ عزّام الفائز ؟

بشير : هى بعينها ياسيدى . لكأنك تعرفها وتعرف شيخها

ابراهيم : نعم جاءنا كتاب من هذا الشيخ يعرض علينا فيه نصرته ونصرة قبيلته

بشير : ثق بهؤلاء فإنهم موتورون من الدولة حاقدون عليها منذ حصل بينهم وبينها خلاف فانتقمت منهم ومثّلت بهم تمثيلا فظيعا كاستئصال ألسنتهم وجدع أنوفهم . فاذا أعطى لهؤلاء السلاح والذخائر فسيكونون وبالا على جيوش الدولة

ابراهيم : ما رأيك فى هؤلاء ياسيف ؟

سيف : لاشك أن هؤلاء سيكونون عونا كبيرا لنا فى وسعهم أن يقوموا بمناوشات قيمة ويوقعوا الاختلال فى صفوف العدوّ ويتعرضوا للقوافل التى تحمل مؤنه وذخائره

ابراهيم : أجل . . لاغنى لنا عن هؤلاء

سيف : ولكن مسألة المسائل هى عكاء

ابراهيم : إن الكولونل سيف كثير الاهتمام بعكاء يابشير

سيف : اعذرنى يامولاى إذا أكثرت الاهتمام بها فهى العقبة الكبرى التى ستقوم فى سبيلنا فاذا ذللناها دان لنا الشام أجمع

بشير : حقا إنها لمدينة منيعة وإن صاحبها ليحتمى منها بجبهة الأسد فجبذا لو استطعتم الاتفاق معه

سيف : ياليت ذلك يكون. إذاً لكفينا هذه العقبة وكان ماوراء ذلك يسيرا علينا

ابراهيم : لعلك تستطيع استمالته إلينا لما بينك وبينه من الصداقة القديمة يابشير أمانحن فقد ذهبت جهودنا فى استمالته سدى. وناهيك بالمساعدة التى قدّمها له سيدى الوالد حين شفع له عند السلطان لما غضب عليه وأقرضه والدى تلك الغرامة الكبيرة التى فرضها عليه السلطان . ولكن عبد الله كفر النعمة وأنكر الجميل

بشير : ألم يسدّد القرض الذى عليه ياسيدى إلى اليوم ؟

ابراهيم : كلا لم يسدده ولن يسدده . ومما زاد غضب والدى عليه أنه رفض ما طلبه منه من إعادة الفلاحين المصريين الذين جمعهم من الصعيد للعمل عنده فهدده والدى بأنه سيذهب

بنفسه لأخذ الستة آلاف من الفلاحين زائداً عليهم رجل واحد

بشير : « يضحك » يعنى بالرجل الواحد عبد الله باشا نفسه ؟

ابراهيم : « يبتسم » نعم لا يعنى غيره

بشير : ما رأيكم لو كلمت عبد الله باشا فى الاتفاق معكم على أن تسامحوه فى القرض الذى لكم عليه وفى الفلاحين المهاجرين عنده وتضمنوا له البقاء فى ولاية عكاء ؟

ابراهيم : أما القرض فلا أحسب سيدى الوالد يتشدد فيه تشدده فى إعادة الفلاحين المهاجرين وسآخذ رأيه فى ذلك ، وأما ضمان البقاء له فى ولاية عكاء فقد عرضنا عليه ذلك من قبل فأبى

بشير : سأعرج عليه فى طريقى عائداً إلى لبنان وأكلمه فى جميع ذلك وأكتب اليكم بما يكون منه

ابراهيم : افعل وإن كنت لا أظن أن والى عكاء يرجع إلى صوابه إلا بالشدة

بشير : إذا لم يرجع إلى صوابه الآن فسيرجع إلى ذلك حين يرى قواتكم تسير اليه

سيف : انه سيكلفنا ضرب الحصار عليه من البر والبحر وبدون ذلك لا يمكن سقوط عكاء وهذا يقتضى زمناً طويلا

ابراهيم : إن العزيمة الصادقة لتقصر الزمن الطويل

سيف : لقد عودنا عزمك يا مولاى أن يذلل لنا المصاعب

ابراهيم : على الله اتكالنا وهو ناصرنا بحوله وقوته إن شاء

بشير : أؤكد لك مرة أخرى يا سيدى الباشا أن الشام كله سيكون معكم، وإنى سأقوم لكم بكل ما أستطيع من الواجب، وعسى أن يقدرنى الله على خدمتكم بما يرضيكم

ابراهيم : ذلك الظن بك يا صديقنا العزيز

سيف : قد عنت لى فكرة يا مولاى هى أن تبعثوا هذا الشاب الجندى ليرافق الأمير بشير إلى سوريا ولبنان فيستأنس بطبيعة تلك البلاد ويعرف مواقعها فربما نحتاج إلى خبرته بذلك فى المستقبل

ابراهيم : لا بأس بذلك عندى إذا لم يثقل على الأمير بشير

بشير : يثقل علىّ ؟ كلا يا سيدى الباشا . إنه سيكون لى نعم الرفيق فى السفر ونعم الضيف

ابراهيم : أتحب يا سرحان أن ترى قبلنا تلك البلاد ؟

سيف : كيف لا يسر سرحان بذلك ؟ إنها ستكون سياحة ممتعة فى تلك البلاد الجميلة

ابراهيم . إذاً فليذهب سرحان معك يا أمير الجبل . ولست بحاجة إلى أن أوصيك به فهو عزيز علىّ

بشير : اطمئن من قبله ياسيدى فسيرى منى كل بر ورعاية

ابراهيم : « يلتفت إلى سرحان باسماً » احذر يا سرحان أن تنسيك بلاد الشام مصر

سرحان : إن مصر لم تنسنى نجداً يا مولاى فلن ينسينى الشام مصر

« يدخل الحاجب فيدنو من إبراهيم باشا فيساره بحديث »

ابراهيم : « للحاجب » دعه يدخل

« ينطلق الحاجب »

« ثم لبشير » سترى جاسوساً من جواسيس الدولة وهم فينا كرجال النفاق بعهد الرسول عليه السلام ، يشون بنا ويذيعون أسرارنا للقوم وليس لنا من سبيل لتأديبهم . أوه من هذا الزير أوه ! متى نرميه متى نلقيه؟

بشير : قريبا نخلصه عن أعناقنا بيدك

ابراهيم : إن شاء الله

سيف : إن شاء الله

« يدخل صابر بك ويحيي إبراهيم منحنياً حتى يكاد يقبل الأرض »

صابر : سيدى . . مولاى . . أميرى . . صباح الخير

ابراهيم : مرحباً بك يا صابر . تفضل

صابر : « يجلس بين ابراهيم باشا وبين سرحان » شكراً لك يا مولاى للطفك يا مولاى بعبدك يا مولاى . . بموطىء نعلك يا مولاى . لقد حضر العبد المملوك إليكم يا مولاى ليرفع أسمى تهانئه القلبية إلى أعتاب جنابكم الفخم يامولاى

بمناسبة إنعام مولانا السلطان عليكم بأمارة مكة يا مولاى وأنتم يامولاى جدير بهذا العطف الشاهانى الأكبر وبهذه الرتبة التى لم ينلها أىٌّ سواكم فى جميع أنحاء المملكة العثمانية.

ابراهيم : إن هذه التهانىء أولى بها أن توجهها لأبى فهو أولى بها منى إذ له فضلها لا لى

صابر : لا بل لكم يا مولاى لما وضع مولانا السلطان من الثقة العظمى فيكم يا مولاى ، ولما لاح له من بطولتكم العليا وكفايتكم الكبرى فى كل الشئون التى نيطت بكم ، فضلا عن ماضى عزمكم يا مولاى وكامل إخلاصكم لمولانا السلطان

ابراهيم : حسبك ياصابر. إن هذه الرتبة أو غيرها مما هو أعظم منها إذا أسندت لى فقد أسندت لأبى . . إنى لا أملك فضلا إلا ما تحدر منه إلىَّ ، وإذا ظن بعض الناس أن هذا يثير التنافس بين الولد البر وبين أبيه العظيم فقد ضلوا والله ضلالا بعيداً

صابر : عفا الله عنكم يا مولاى فيما أسأتم بى الظن

ابراهيم : قد علمت أنك نقَّال الأحاديث فانقل حديثنا هذا إلى من تشاء

صابر : إنما جئت للتهنئة يا مولاى

ابراهيم : بم تهنئنى ؟ أتظن أن أمارة مكة ترضينى عن سلطانك ؟ لا والله حتى ينصف والدى ويعطيه حقه كاملا غير منقوص شيئاً . وإن لم يفعل فإن السيف الذى سل من أجله فى نجد ما زال فى كفى لأبزّ به سوريا من يده

صابر : أعيذك بالله أن تعصى السلطان يا مولاى

ابراهيم : إنى لا أعصى سلطان مصر ، فأما سلطان اسطنبول فإن يعصنا نعصه

صابر : عفواً يا مولاى إذا قلت إنك شديد الوطأة على قومك

ابراهيم : « منضباً » يجب أن تتروى فيما تقول يا صابر ، فاهؤلاء الذين تذكرهم بقومى وإنما قومى العرب . إنى لست تركياً فقد جئت إلى مصر صبياً . حيث مصّرتنى شمس الوادى وأحالت دمى فجرى فى عروقى دماً عربياً

الفصل الثانى

فى ضاحية من ضواحى عكاء — فى قصر اتخذه ابراهيم منزلا له أثناء محاصرته الطويلة لمدينة عكاء يتصل به — مما يلى عكاء — المعسكر المصرى الواقع وراء القصر . يظهر جزء من رواق القصر ويقع على يمينه الجانب الذى فيه غرفة نوم ابراهيم باشا على ارتفاع قليل من أرض الرواق . ويرقى اليها بسلم يفضى الى دهليز صغير يوصل إلى الغرفة ولهذا الدهليز شباك يطل على الرواق . الوقت — فى النصف الأخير من الليل —

يظهر أمام القصر من جهة اليسار ثامر وزيد وثلاثة آخرون من أبناء عمومة ثامر .

ثامر : اخفضوا أصواتكم كيلا يسمعكم أحد

زيد : لم يجىء نعمان بعد لزيارة صديقه سرحان

ثامر : أخشى أن يكون أملنا قد ضاع فى نعمان وأن الصداقة التى تظاهر بها لسرحان ليتوصل بها إلى قتل إبراهيم قد أصبحت صداقة حقة تمنعه أن يخون سرحان بقتل مولاه

زيد : لا شك عندى فى هذا ، فقد نسى نعمان ثأر أبيه وافتتن بهذا النجدى اللعين

أحد النفر الثلاثة: ما أرى إلا أنكما ظلمتما نعمان، فامثله من ينسى ثأر أبيه

زيد : فما منعه إلى اليوم إذاً من إنجاز مهمته وهو يسمر كل ليلة مع سرحان فى هذا الرواق إلى الهزيع الأخير من الليل

على بضع خطى من الغرفة التى ينام فيها إبراهيم باشا ؟

ثامر : ليس ببعيد أن يكون سرحان أقنعه بما ينسعى اليه إبراهيم باشا من إحياء الدولة العربية القديمة بضم بلاد العرب كلها تحت لواء واحد ، فلم يجىء هذا النجدىّ من بلاده إلا ليجاهد فى سبيل هذه الفكرة

أحد الثلاثة: ولكن نعمان كان يعرف هذا من سرحان وهو إنما نجح فى الاتصال بسرحان واكتساب ثقته ومودته حين أوهمه بانه عربى ثائر على الدولة من طرابلس الغرب . فكيف يجوز أن ينخدع نعمان وهو على بصيرة من حقيقة سرحان ؟ إن هذا لبعيد

ثامر : إنى أعرف منك بشقيق نعمان فهو شديد التأثر سريع التقلب

أحد الثلاثة: ولكنه كان أشدكم جميعا حزناً على أبيه وحقداً على قاتله وقد أقسم ليقتلن إبراهيم ولو قتل فى ذلك

زيد : لا تصدقه ولو أقسم ألف يمين فإنما هو جبان يهاب القتل ولو كنت فى مكانه لبدأت بسرحان ثم ثنيت بإبراهيم

ثامر : أتتّهم نعمان بالجبن ؟ والله إنك لأنت الجبان . فقد أمكنتك الفرصة بوادى الزراعة بعد اندحار الترك إذ انفرد الغازى ابراهيم باشا عن فرسانه فأضعت الفرصة من جبنك

زيد : لم يكن الغازى منفرداً يومئذ ياثامر . بل كان سرحان يراقبه من محل غير بعيد وقد ألقى نظرة كالسهم إلىّ حسبت بها أنه كان يعرف مضمر قصدى . فما كان منى إلا أن حدت عن وجهه كيلا يرتاب بأمرى

ثامر : ماذا تخشى من ارتيابه بأمرك وقد أوشكت أن تبلغ غايتك ؟

زيد : خشيت أن أفسد عليكم الأمر

ثامر : فلقد أفسدت علينا الأمر بإضاعتك الفرصة

زيد : لو كنت فى موضعى لماصنعت أكثر مما صنعت

ثامر : كذبت ! لو كنت فى موضعك لحملت عليه فألحقته بأبى !

زيد : أتظن الفتك بابراهيم أمراً هيناً يا ثامر ؟ لقد بلغنى أنه يبلو الناقة الفرعاء بضربة سيف فيشطرها شطرين

ثامر : ليته والله شطرك !

زيد : ثم سرحان ماذا كنت تصنع فى سرحان ؟

ثامر : إن استطاع سرحان بعد ذلك أن يقتلنى فليقتلنى فقد نجحت فى غرضى

زيد : أتقول إن استطاع سرحان يا ثامر ؟ أما رأيته فى وادى الزراعة كيف أرى الأتراك نجوم الظهر وجندل أبطالهم وحمل بفرقته على مدفعيتهم وهى تقذف بالنيران تطاير من حوله ؟

ثامر : بل قد رأيت ذلك ولكنك نسيت أن تذكر أنه لطمك في وجهك ؟

زيد : لطمنى فى وجهى ؟ من قال لك ذلك ؟

ثامر : (يضحك مستهزئا) انت الذى قلت لى ذلك يارجل . اما تستحى أن تجبن وتكذب ؟

زيد : (يصفر وجهه ويتلعثم) إن فعل ذلك فلأنه لم يعرفنى فقد ظننى من عامّة الجند

ثامر : أجل ، ولو عرفك لكنت أهون عليه من ذلك

زيد : (يستعيد ثباته) أتظنوننى أسكت لسرحان على هذه الأهانة ؟ والله ما منعنى أن أنتقم لشرفى منه إذ ذاك إلا خشيتى أن ينكشف أمرنا . والله لئن واجهت هذا النجدىّ يوما لأخضبن سيفى بدمه

ثامر : كفى هذرا يازيد . لا تشغلنا بهذرك عمّا جئنا له

أحد الثلاثة : هذا شخص مقبل الينا . . أظنه نعمان

آخر من الثلاثة : لعله شخص آخر قد جاء يتجسس علينا

ثامر : (يتأمل فى الشخص القادم) كلا . . هذا نعمان وهذه مشيته

أحد الثلاثة : نعم هذا نعمان بعينه

(يظهر نعمان)

نعمان : أنتم هنا . . . ما جاء بكم ؟

ثامر : (بلهجة المغضب) انظروا إلى هذا الغادر يسألنا ما جاء بنا

هنا كأن لنا حاجة أخرى لا يطلبها هو . فاعلم اذاً أننا جئنا لنفصل فى الأمر الذى تسوّفنا فيه من يوم إلى يوم

نعمان : ماذا تعنى ياثامر ؟

ثامر : أعنى أننا سنتولى بأنفسنا القيام بالمهمة التى عجزت عنها

نعمان : من قال لك إنى عجزت عنها ؟

ثامر : سواء عندى أن تسمّى فعلك هذا عجزا أو لا تسمّيه كذلك . يجب أن يقتل الليلة قاتل فهد النعسان وكفى

نعمان : لا ريب عندى أنكم بتهوركم هذا تريدون أن تفسدوا الخطة التى تعبت فيها

ثامر : لا خير فى خطة لا تتم إلا بالتسويف

نعمان : انك لعلى خطأ فى تسميتك التأنّى اللازم لنجاح الخطة تسويفا .

ثامر : (يحرق غيظا) التأنى . . قاتل الله هذا التأنى . غدا يستولى هذا الرجل على عكاء فلا يبقى لنا مطمع فى الظفر به

نعمان : أمهلنى ياثامر بضعة أيام أخرى حتى يزداد سرحان وثوقا بى فأنجح فى عملى

ثامر : قد عرفتك يا نعمان . إنك تديرنا عن عملك يوما بعد يوم لتضيع علينا الفرصة . إن هذا النجدى قد سحرك بآرائه فأنساك ثأر أبيك

نعمان : لا والله مانسيت ثأر أبي. إنما أتريّث من أجل ثأر أبي

ثامر : ماذا تنتظر بعد ؟ أتبغي أكثر من أن تبيت على بضع خطوات من مرقد قاتل أبيك ؟ أتنتظره حتى يجيء اليك بخنجره ويقول لك خذ هذا فاذبحني؟

نعمان : أمهلني يومين فقط ياثامر

ثامر : (عنيداً) كلا والله لئن مرت هذه الليلة المشؤومة ولم تقض حاجتنا فيها ليجدنّ في الدنيا مجنون يقتل أخاه من أبيه وأمه . أسمعت ؟

أحد الثلاثة : ويلك يابن عمي لا تقل هذا . . لا تسمعه من فمك الأقدار

ثامر : إن أصبح ابراهيم غدا في الأحياء فدع الأقدار تسمعه من فمي

أحد الثلاثة : لم يبق لك الآن عذر يانعمان فأنجز الليلة مهمتك وتوكل على الله فقد يسعفك النجاح الليلة ولايسعفك ليلة أخرى

ثامر : يانعمان . ياأخي يابن فهد النعسان أيجمل بك أن تتلهى بمسامرة هذا النجدي ومجاذبته أطراف الأحاديث وأشلاء أبيك معطّشة في بطن الثرى تشكو من حر الصدى وتتململ من حرقات الجوى ؟ يالعار القبيلة يالشنار بني النعسان !

نعمان : حسبك ياثامر حسبك. لقد أغمدت خنجرك المسموم في صدر فتى موتور

ثامر : (يعانق أخاه نعمان) بل أطارت الرماد عن الجمر فى قلب مسعور أنت الآن أخى حقا . سامحنى ياأخى إذ اتهمتك بنسيان ثأر أبيك

نعمان : لقد عرفت الآن أن الحق معك ياثامر : إن التسويف لا يأتى بخير .

ثامر : أين كيس البن الذى معك يازيد ؟

زيد : ها هو ذا عندى

ثامر : أعطه لنعمان

زيد : (يناول نعمان كيس البن) خذ يانعمان

(يأخذه نعمان منه)

ثامر : أهد هذا البن اليمنى الفاخر لصديقك فسيفرح به واقترح عليه أن يصنع قهوتكما الليلة منه . (يناوله كيسا صغيرا) وخذ هذا المسحوق فاذا أخذتما فى احتساء القهوة فغافل جليسك وضع شيئا من هذا المسحوق فى فنجانه فسيغلبه النعاس ويميل به أرضا فقم حينئذ للأخذ بثأر أبيك

نعمان : انها لفكرة مدهشة ياثامر

زيد : لقد هيأ لك أخوك كل شىء يانعمان فما بقى عليك إلا أن تغمد خنجرك فى صدر نائم على فراشه . وسأكفيك أنا هذا النجدىّ صاحبك

نعمان : ما تقول يازيد؟

ثامر : دعك منه. إنه يريد أن ينتقم من سرحان للصفعة التى نالته منه فى وادى الزراعة

نعمان : إنه أجبن من ذلك

ثامر : وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

زيد : ستعلمون أنى لست جبانا ولا أنام على ثأر

ثامر : حسنا، قد علمنا إنك لبطل الأبطال فاقطع عنا كلامك ودعنا فيما نحن بسبيله

زيد : وقد علمت أيضاً أن كلامى لا يعجبكم فهأنذا سكت

ثامر : (لزيد) خيراً صنعت .

(للجميع) اسمعوا ياإخوانى منى . ستبقون أنتم الاربعة مرابطين هنا لعل نعمان يحتاج اليكم ، وسأنتظركم فى الحىّ وآمر العشيرة أن تكون على أهبة . فاذا فرغ نعمان من عمله فليلحق بكم ولتنطلقوا معا الينا تجدوا الخيول مسرجة تنطلق بنا الى الصحراء . أفهمتم ؟

الجميع : نعم

ثامر : (لنعمان) أعندك خنجرك المسموم ؟

نعمان : أجل هوذا عندى (يخرج الخنجر من بين ثيابه ويريه اياه)

ثامر : (يعانقه) بارك الله فيك . . امض ياأخى واذكر أنك ابن فهد

نعمان : ثق بأخيك يا ثامر

(يمضى نعمان جهة القصر)

ثامر : « للاربعة » ابتعدوا قليلا عن هذا المكان لئلا يلحظكم سرحان من الرواق

« يتقهقر ثامر والاربعة معه وهم ينظرون الى نعمان حتى يتواروا عن الانظار فى يسار المسرح »

« يرقى نعمان الدرج حتى يصل الى الرواق فيسقط الخنجر من ثيابه ويقع على الارض فيلتقطه مضطرباً »

نعمان : ويلى ما أشأم هذا الفال! أتراه يسقط من كفى فى حضرة إبراهيم ؟ . . لا يا ابن فهد تشجع

« يتجه الى يمين الرواق حيث يتوارى برهة عن النظارة ثم يعود ومعه سرحان »

نعمان : هل نام سيدى الباشا ؟

سرحان : إنه أرق الليلة ولكنه نام قبيل الآن بعد أن أخذت قسطى الوافر من النوم

نعمان : وأنا أيضا قد أخذت بنصيب وافر منه أول الليل

سرحان : إذن فلنسمر إلى الفجر فقد اشتقت إلى السمر معك بعد أن انقطعت عنى هاتين الليلتين فأين كنت ؟

نعمان : إنه الزكام ياسرحان قطعنى عنك فيهما

سرحان : وكيف أنت الآن ؟

نعمان : الحمد لله بخير

سرحان : الحمد لله . . أجر وعافية . وما هذا الذى بيدك ؟

نعمان : هدية يا سرحان أرجو أن تتقبلها منى

« يناوله كيس البن »

سرحان : « ينظر فى الكيس ويشمه » هذا بن يمنى جيد يانعمان . أشكرك على هديتك

نعمان : إن صديقا لى أهدانيه فأحببت أن أطرفك به لشغفك بالبن الجيد

سرحان : والله لأصنعن قهوتنا الليلة منه . سأجىء بالبساط والأدوات هنا فنصنعها قهوة فاخرة

« يذهب سرحان الى يمين المسرح ويتوارى »

نعمان : (يضع يده على صدره) يالقلب المضطرب! هذه ساعة والله رهيبة لكأنى بنفسى التى بين جنبىّ تبرأ منى ! كيف أقتل ابراهيم باشا ؟ أأقتله وهو منقذ قومى العرب ؟ وصديقى سرحان كيف أخمله تبعات اغتيالى وغدرى ؟ ماعساه يقول اذا وقع الأمر المحذور ؟ أأبجعه فى مولاه ابراهيم وفى صديقه نعمان ؟ لكن كيف أترك قاتل شيخى يعيش ؟ قاتل فهد النعسان . . . قاتل أبى . آه قد يخاف المرء الشىء فتدفعه الأقدار اليه معصوب العينين. وما الأقدار سوى الأصداء التى تتردد فى جنبات النفس

(يعود سرحان حاملا معه أدوات القهوة وبساطا يفرشه على أرض الرواق)

سرحان : تفضّل ياصديقى نعمان

نعمان : (يجلس على البساط) شكرا ياسرحان

سرحان : أمّا أنا فسأجلس هنا على طرف البساط حيث أكون قريباً من هذا الكانون

(يجلس سرحان على طرف البساط ويضع الكانون بجانبه خارج البساط . يفرغ شيئاً من الفحم فى الكانون ويشعل حزمة من الحطب الرقيق عليه)

سرحان : (ينظر فى وجه نعمان على ضوء اللهب) أراك الليلة واجما يانعمان على وجهك آثار الاغتمام فهل تشكو من بأس ؟

نعمان : (يتظاهر بالتجلد والثبات) لا ياسرحان لا أشكو شيئا .

سرحان : أتحاول كتمان أمرك عنى يانعمان ؟ ألا تقول لى لعلى أستطيع أن أسرّى عنك .

نعمان : أىّ أمر أكتمه عنك ياصديق ؟

سرحان : إنى قد صحبتك مدة تكفى لأعرف مايدور بخلدك .

نعمان : (يزداد اضطرابا وامتقاعا) إن كنت تعرف مايدور بخلدى فقل لى ماهو ؟

سرحان : والله لاأدرى ماهو ولكنى أعرف أن بك الليلة هما وأنك لست طلقا كعادتك .

نعمان : (يسرى عنه) أمايلمّ بك الشوق أحيانا إلى أهلك بنجد ياسرحان؟

سرحان : (يحرك الفحم فى الكانون ويقلب أسفله أعلاه ويشب النار بمروحة فى يده) بلى يانعمان قد تهزنى الذكرى إليهم ولاسيما والدتى العجوز ، فهل نابك الليلة شىء من هذا ؟

نعمان : أجل، ذكرت أهلى بطرابلس فانتابنى ما ترى

سرحان : « باسما » لعل لك حبيبة هنالك هزك الشوق اليها

نعمان : إن لى ابنة عم لا تظل سماء طرابلس أجمل منها . وقد أوشكت أن أتزوج بها لو لم يطلبنى الحاكم التركى لشىء بلغه عنى فهربت من البلاد ليلا ولم يكن بينى وبين أن تزف إلىّ إلا بضعة أيام

سرحان : (يضع ابريق الماء على الكانون لاغلائه) ما الشىء الذى بلغه عنك ؟

نعمان : بلغه أنى أحرض القبائل على عصيان الدولة والامتناع عن دفع الضرائب

سرحان : هل كان ذلك منك يانعمان ؟

نعمان : إنما حرضت الناس على أن يطالبوا الحاكم بالعدل فى تقدير العشر وأن لايدع محصّليه يفرضون على الناس كما يشتهون فيأخذون منهم ربع الريع أو ثلثه وقد يبلغ أحيانا إلى نصفه

سرحان : لعل الحاكم قد ابتاع مجموع الضرائب والرسوم من الدولة فهو يحصّلها لحسابه ويشتط فى ذلك

نعمان : نعم فلا همّ له إلا أن يبتز أموال الناس قبل أن يعزل بغيره ممن يقدم للدولة عطاء أكبر

سرحان : إن الدولة لتجرى على هذا الأسلوب فى جميع الولايات التى تحكمها : يبتاع أحدهم الولاية بالثمن الغالى من دولته كيما

يتقاضى أضعاف أضعافه من دماء الشعب الذى ولّته عليه ، ولكن هوّن عليك يانعمان . سينقضى هذا العهد الذى يشكو العرب جميعاً منه

نعمان : متى ينقضى هذا العهد البغيض يا سرحان ؟

سرحان : سينقضى عندما يتّم لمولانا ابراهيم باشا طرد آخر رجل منهم عن آخر شبر من الوطن العربىّ

نعمان : ليت شعرى أيكون لبلادى نصيب من هذا الرجاء ؟

سرحان : ولم لا وما يجاهد ابراهيم باشا إلاّ ليحرّر أقطار العرب عامة ؟ وتأكد أن الشام إذا فتحت له كان فتح غيرها من البلاد العربية أمراً ميسوراً

نعمان : أفى نيّته أن يفتح طرابلس الغرب ؟

سرحان : لقد سمعته كثيراً ما يذكر لا طرابلس الغرب فحسب بل المغرب كله إلى بحر الظلمات، وما رفض والده العظيم محمد على باشا ما كتب به إليه ملك فرنسا من اشتراك مصر معه فى فتح بلاد الجزائر إلا لهذا الغرض

نعمان : ألا ترى أن حرب الشام ستطول كثيرا ياسرحان ؟

سرحان : لن تطول بإذن الله فما لقينا جيوش الدولة فى معركة إلا هزمناهم . وقد لقوا فى وادى الزراعة هزيمة منكرة ملأت قلوبهم رعبا فلن يثبتوا لنا فى وقعة بعدها . ولا تنس أن

أهالى البلاد معنا بأيديهم وقلوبهم . ولولا هذه المدينة العنيدة عكاء لقد تمّ لنا فتح الشام قبل اليوم

(يلتفت الى ابريق القهوة وهو يغلى) قد أنسانا الحديث قهوتنا يا نعمان

(يفرغ شيئا من البن فى الأبريق ومسحوقا من القرنفل والهيل ويحرك الملعقة فيه ثم ينزله من على الكانون)

نعمان : صبّ قهوتك ياسرحان فانى مشتاق إليها

سرحان : لا تعجل يانعمان . . حتى تهدأ وتروق

نعمان : ماأذكى عرفها وأطيب رائحتها

سرحان : وما أشهى مذاقها يانعمان

(يطلع القمر من الافق شيئا فشيئا حتى تسقط أشعته على الرواق فتنيره)

نعمان : (ينظر الى القمر) وما أجمل هذا القمر يطلع علينا ليسامرنا

سرحان : (يبتسم) لكأنه أدرك موعد صبّ القهوة ليشاركنا فيها

نعمان : جزاء تأخيرك لصبّها ياسرحان

سرحان : لا تخف يا أخى فالقمر سمير كريم يعطى ولا يأخذ ويؤنس ولا يوحش ويفى ولا يغدر

نعمان : فصبها إذن فقد آذنك القمر بذلك

سرحان : أجل والله الآن حين طابت وراقت

(يصب القهوة من الأبريق فيملأ فنجانين يقدم احدهما لنعمان ويأخذ الاخر لنفسه)

نعمان : (يجلس قهرتة) لقد ألفت قهوتك هذه حتى صرت لا أساوها يا سرحان

سرحان : (يتنهد) لشدّ ما يذكرنى هذا السمر وهذا الليل المقمر نجداً يا نعمان

نعمان : إيه حدثنى عن نجد وأيام نجد ياسرحان

سرحان : حيث كنا نخرج فى الليلة القمراء إلى البطحاء ونسمر تحت النجوم على ود وصفاء . حيث كنا نغنّى أغانينا البدوية نرسلها كالحداء تردها الصحراء وتصغى لها آذان الفضاء. حيث كنا نفترش البطحاء وقد بردت حبات الرمل بها إلا ما يرسله جوفها من دفء شهى يحدث عن أشواق ذكاء

نعمان : ما أحلى كلماتك ياسرحان وأشبهها بالشعر

سرحان : ياليتنى كنت شاعرا فأعبّر عما يضطرم بين جوانحى

نعمان : من ذكرى نجد ياسرحان ؟

سرحان : أجل من ذكرى نجد

نعمان : (يبتسم) ومن ذكرى الشّماء حبيبتك

سرحان : (يتنهد) وهل نجد عندى إلا الشّماء ؟ ألا تشعر مثلى يانعمان بأن طرابلس الغرب ما هى إلا ابنة عمك ؟

نعمان : بلى يا سرحان هذا ماأشعر به

سرحان : آه يانعمان إنى لأكاد الآن أطير شوقا إلى نجد وإنى لأشعر بحاجة إلى الغناء والترنم

نعمان : فما يمنعك من ذلك ياسرحان؟ إنى لأشتهى أن أسمعك تغنى كما غنيتنى ليلة قصيدتين رقيقتين فى الشوق إلى نجد .

سرحان : أأعجبك غنائى تلك الليلة يانعمان ؟

نعمان : كيف أصف لك طربى لذلك الغناء ؟ لكأنى كنت والله أسمع نبضات قلب الصحراء من ثناياه

سرحان : ولكنى أخشى يانعمان أن أوقظ مولاى إبراهيم .

نعمان : صدقت، ولكنك تستطيع أن تخفض به صوتك فلا يسمعه أحد غيرنا، فدعنى أتول عنك علاج القهوة لتفرغ لغنائك

(يقوم نعمان من محله ويجلس فى محل سرحان ويجلس سرحان فى محل نعمان)

سرحان : طاعة لك ياصديق نعمان .

نعمان : (يملأ فنجانا من القهوة لسرحان) اشرب هذا الفنجان أولا ثم ابتدىء فى الغناء .

سرحان : (يشرب القهوة ويأخذ فى الدندنة ثم يغنى)

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن
جليدا وأبديت الذى لم تكن تبدى
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
يمل وأن النأى يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع

إذا كان من تهواه ليس بذى ود

نعمان : أحسنت وأطربت ياسرحان فبحياتى عليك إلا ماغنيت الأبيات الأخرى

سرحان : أشعر ببعض القلق من قبل مولاى إبراهيم . فسأجوس خلال غرفته لأستوثق من نومه.

نعمان : لاأحسب صوتك الخافت يصل إليه . ولكن لا بأس أن تستيقن من ذلك إن شئت

(ينهض سرحان ويتوجه إلى يمين الرواق حيث يغيب)

نعمان : هذه فرصة طيبة لأضع المرقد فى فنجانه

(يخرج كيس المسحوق من جيبه)ولكنها خيانة والله لصديقى منى. أتراه أحس بشئ من هذا حين قال إن القمر سمير كريم يعطى ولا يأخذ ويفى ولا يغدر ؟ ويلى أيشق بى وأخونه ويفى لن وأغدر به ؟ غير أنى قد وعدت ثامرا الليلة بإنفاذ المهمة وهو قاتلى لامحالة إن لم أفعل .

(يضع المرقد فى فنجان سرحان ويحركه فيما بقى من القهوة)

سامحنى ياسرحان

(يعود سرحان ويجلس فى محله)

نعمان : كيف وجدته ياسرحان ؟

سرحان : الحمد لله . . وجدته نائما على سريره .

نعمان : قد قلت لك إن صوتك لا يبلغه .

(يصب من الابريق فى فنجان سرحان فيملأه) اشرب هذا ثم غن

سرحان : (يشرب القهوة ثم يبدأ فى غنائه)

قفا ودّعا نجدا ومن حل بالحمى
وقلّ لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ماأطيب الربا
وماأحسن المصطاف والمتربعا
وليست عشيات الحمى برواجع
عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

(يأخذ النعاس يداعب جفنيه ويضمحل صوته شيئا فشيئا)

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى
على كبدى من خشية أن تصدعا

(يترنح يمينا وشمالا وعيناه مثقلتان بالنعاس فيدنو منه نعمان ويسنده ثم يتيمه على فخذه وهو مايزال يترنم بغنائه بصوت ضعيف حتى انقطع عنه وغرق فى سبات عميق)

نعمان : (يحركه) سرحان سرحان! (لايجيب سرحان)

ياله من سبات عميق. قم يانعمان . . قم لثأر أبيك

(يضع رأس سرحان على ردائه فى الأرض وينهض مضطربا يتلفت يمينا وشمالا)

زيد : (يظهر فى البقعة التى كان فيها مع ثامر وبنى عمومته كالمتجسس)
هاهقد نام النجدىّ اللعين . ويل له منى لأقتلنّه الليلة .

نعمان : (واقفا يتردد بين الاقدام والاحجام) كيف أقتل ابراهيم ؟ أأقتله وهو منقذ قومى العرب ؟ ياللجرم الأكبر .. ياالجرم الابد . وصديق سرحان هذا الصديق الكريم ما ذنبه الىّ فأحمّله غدا هذه التبعة العظيمة ؟ لا يانعمان . . لاتفعل، إنك لترتكب جرما جسيما إذ تخون صديقا كريما وتقتل بطلا من أبطال قومك عظيما ، من أجل أب قد طواه الثرى واستحال عظاما رميما .

(يبدو له شبح أبيه أمامه)
ماذا أرى ؟ من هذا ؟ أبى فهد النعسان! يا لله كيف قام من قبره ؟ لا يا أبت لا . . لا تخفى بوجهك هذا الشاحب الهزيل وشعرك هذا الارجوانىّ يقطر منه الدم !

زيد : (فى مرقبه الأول) عجبا . . لا أرى أحدا مع نعمان . . من ذا يخاطبه ياترى ؟

الشبح : أيخاف ابنى منّى ؟ ويلى . . أنت سببت لى هذا يا ابراهيم إيّاك يا نعمان أن تنسى ثأرى .

(يكشف عن صدره) انظر يانعمان إلى هذه الطعنة فى صدرى . . ها هنا طعنونى . وهنا مزقوا أحشائى فسالت تتدلى على ساقىّ .

نعمان : (يغمض عينيه) يا للهول !

الشبح : انظر الى حلقى . . هنا ذبحونى .. هنا قطعوا الأوداج منى فأنشأ رأسى يخفق على كتفىَ !

نعمان : يالهول المنظر .. يالفظاعة !

الشبح : هيا أعدّ خنجرك .. هيا امش معى الى قاتل أبيك . . هيا اتبعنى.

نعمان : (يسل خنجره) سمعا . . ساتبعك . (يلتفت الى سرحان) وداعا يا سرحان .

« يتقدم الشبح فيتبعه نعمان حتى يتواريا عن الأنظار »

زيد : « يقصد نحو القصر حتى يصل الى طرف الرواق » هذا والله جميل .. نعمان يقتل ابراهيم ، وزيد يقتل سرحان .

(يسل خنجره) هل أطعنه بالخنجر ؟ .. لا لا .. ربما يصحو فيطوقنى بيديه . ولكن سأطعنه بالرمح ليعصمنى منه طوله .

(يغمد خنجره ويقبض على رمحه بيمينه)

نعمان : « يبدو من شباك الدهليز الموصل الى غرفة ابراهيم باشا — يسمع الحركة فيطل فيرى زيدا يقترب من سرحان والرمح فى يده »

لعنة الله عليك يا زيد، تقتله وهو نائم . تبالك ياجبان !

زيد : (يلحظه شزرا) لا شأن لك بى .. امض لشأنك .

نعمان : (يصيح) سرحان! سرحان! انتبه ياسرحان !

(يسدد زيد رمحه ليطعن به سرحان)

نعمان : سرحان! انتبه يا سرحان!

(يرتاع زيد فتصيب طعنته يد سرحان اليسرى فيهب مذعورا)

سرحان : (يفرك عينيه) ويل لك من أنت يا هذا؟

زيد : (يسدد الرمح اليه ليطعنه فى صدره) خذها يا تعيس الحظ فلن تعرف من أنا .

سرحان : (يحيص عن الطعنة ويهجم فى لمح البصر بخنجره على زيد فيلقيه صريعا على الأرض) بل خذ هذه يا قصير العمر! سأعرف من أنت جثة هامدة!

(يظهر شخص ابراهيم باشا خلف نعمان من الشباك)

ابراهيم : عجبا . . ليس هذا سرحان . . . ماذا تصنع هنا يا فتى ؟

نعمان : (يستدير إليه) جئت ياغريمى . . فذق هذا الخنجر المسموم

(يهجم على ابراهيم باشا بخنجره ولكن ابراهيم يتلقى الطعنة بالقبض على يده)

ابراهيم : ويل لك . . من أنت ؟ كيف أتيت هنا ؟ (يجر نعمان معه لينزل به الى الرواق)

سرحان : (يتلفت يمينا وشمالا باحثا عن نعمان) نعمان! أين أنت يانعمان؟ عجباً . . أين ذهب ؟

(يظهر على الرواق وباحدى يديه خنجر نعمان والأخرى على يد نعمان يجره جراً)

سرحان : (مدهوشا) مولاى

ابراهيم : ماهذا ياسرحان ؟ كيف جاء هذا الفتى إلى مخدعى والخنجر فى يده ليقتلنى؟ أين ياحارسى كنت ؟

سرحان : ياويل أبى، أهذا نعمان ؟ أينوى نعمان هذا الجرم العظيم ؟ أجننت يا نعمان ؟ كيف جرؤت على هذا ؟

ابراهيم : (ينظر الى زيد الصريع على الارض) من هذا الفتى المطعون ؟

سرحان : لا أعرف من هو يامولاى . . لقد جاء يقصد قتلى

زيد : أنا زيد من أنصارك يا مولاى، أتيت لأحبط هذا التآمر عليك من سرحان وهذا الفتى لاغتيالك، فعاجلنى هذا بطعنة من خنجره فوقعت كما ترى . ولكنى سأموت قرير العين لأنك نجوت من كيدهما

سرحان : كذبت يا جبان

(يهم أن يجهز عليه) أأنك لحىّ بعد؟

ابراهيم : دعه يا سرحان لا تمسسه

زيد : إنما رام قتلى ليخفى هذا السر عليك

ابراهيم : ما قولك يا سرحان ؟

سرحان : ما أحسب مولاى ابراهيم يصدّق شيئا من هذا

ابراهيم : إذن فقل لى كيف أذنت لنعمان هذا أن يقصد مخدعى والخنجر فى يده؟

سرحان : إنى اتخذته صديقا فيك ، وفى العرب ، وماخطر قط ببالى أنه سيحاول يوما هذا الجرم الكبير

ابراهيم : أجعلت مكانى سمراً لكل من هبّ ودبّ؟

سرحان : أنا معترف بالخطيئة يامولاى، فأوقع بى من عقابك ما أستحق

نعمان : لا تعاقبه يامولاى فهو برىء وإنى أنا المذنب . أنا الذى اتصلت به وخدعته بصداقتى وقد أسقيته الليلة المرقد لأدرك ثأر أبى منك

ابراهيم : منى أنا ياهذا ؟ من يكون أبوك؟

نعمان : فهد النعسان

ابراهيم : (يلتفت الى سرحان) فهد النعسان ! أتأتى بابن فهد النعسان هنا عندى ؟

نعمان : كان لا يدرى أنى ابنه يامولاى ، فقد أوهمته أنى عربىّ من طرابلس الغرب

زيد : لا تصدّقه يا مولاى فإنما يريد تبرئة شريكه فى الجريمة . ولو لم يشغلنى بصياحه من الشباك لأثبت رسمى فى هذا المجرم فأرحت الوجود منه

نعمان : اسكت يا وغد

زيد : سأسكت عما قريب إلى الأبد ، ولكنكما ستلقيان جزاء جريمتكما

(يهجم الرجال الثلاثة من ابناء عمومة ثامر على ابراهيم ويحيطون به)

سرحان : « ينفخ فى صفارته للاستنجاد »

نعمان : « وهو فى قبضة ابراهيم باشا » أرسل يدى يا مولاى . والله لأدفعنّ دونك

ابراهيم : (يجعل ظهره الى الجدار . ونعمان فى قبضة يده) ويلكم ما جاء بكم ؟

أحد الثلاثة : أجلك !

سرحان : (يهجم عليه فيصرعه على الأرض) بل آجالكم حانت !

(يدنو الثانى ليطعن ابراهيم باشا برمحه فيدفعه نعمان برجله فيزحزحه بعيداً)

الثانى : لعنة الله عليك يا نعمان !

نعمان : (يرسله ابراهيم باشا من قبضته) بل لعنة الله عليك وعلى من أرسلك !

الثانى : (يحاول طعن ابراهيم باشا مرة أخرى فيطوقه نعمان بذراعيه من خلفه ويقبض بيده على وسط الرمح) ويلك ، أتمنعنى من أن آخذ لك بثأر أبيك ؟

نعمان : نعم أمنعك وإن أبيت قتلتك

الثالث : (يهوى بسيفه على ابراهيم باشا) لا نجوت إن نجوت منى

(يحيص ابراهيم عن ضربته فتقع على الجدار ويلكمه على وجهه بجمع يده فيلقيه على الأرض ويذهب ناحية زيد ليأخذ حربته فاذا زيد يحاول طعنه فيركله ابراهيم برجله فيقضى عليه ويأخذ منه حربته فيطعن الصريع وكان قد قام وحمل بسيفه على ابراهيم)

سرحان : (يقوم من على خصمه وقد انتزع سلاحه منه فيقتله به) خذه من يد عزرائيل

(يخف الى جهة نعمان وخصمه وهما يتنازعان الحربة فينتزعها منهما)

نعمان : (ما يزال ضاما خصمه من خلف) اقتله ياسرحان

الثانى : عار عليك يا نعمان أن تأمر بقتل ابن عمك لا لذنب ارتكبه إلا أنه أراد أن يعينك على الأخذ بثأر أبيك

نعمان : قد أنذرتك أن تكف عن هذه المعونة وتمضى لسبيلك فأبيت

الثانى : إن لم يدعك همك الأخذ بثأر أبيك الآن فأجدر أن لا يهمنى أنا، فدعنى أنصرف لسبيلى

ابراهيم : دعه يا سرحان لا تقتله . . ما أرى إلا أنّ لهذا الرجل نصيبا من الحق

(يقبل اثنا عشر جنديا من الحرس مسرعين)

ابراهيم : (يلتفت الى نعمان) أرسل ابن عمك هذا

نعمان : (يرسله) سمعا يامولاى

(يصل الجنود الى الرواق فيرفعون أيديهم بالتحية)

أحد الجنود : هل من حادث يا مولاى ؟

ابراهيم : لاشىء . . احملوا هذه الجثث وأبعدوها عنا

(تحمل الجثث الثلاث كل جثة يحملها اثنان)

ابراهيم : (يشير إلى ابن عم نعمان) واصرفوا هذا الرجل من هنا ولا تمسوه بسوء

(للرجل) انطلق إلى قومك فبلغهم أنى عفوت عنك

الرجل : شكراً لك يا أمير مصر . . لن أعين عليك بعد اليوم

(يمضى الرجل يرافقه ثلاثة من الجند)

ابراهيم . (لبقية الجنود الذين حضروا) انطلقوا الى المعسكر فأيقظوا الكولونل سيف والأمير عباس واحمد بك المنيكلى ليحضروا حالا

الجنود الثلاثة : سمعا يامولانا (يمضون)

ابراهيم : (لسرحان ونعمان) بارك الله فيك وفى صديقك ياسرحان .

سرحان : أنا فى خدمتك الدهر يامولاى العظيم .

نعمان : الحمد لله الذى نجاك ونجّى بك يامولاى يا أمير العرب .

ابراهيم : (لنعمان) إن أمرك يافتى لعجيب .

نعمان : والله الذى لا اله إلا هو لقد أمسيت يا مولاى أحب الناس الىّ . إن سرحان مازال يذكر لى آمالك فى توحيد العرب وإحياء سوءددهم حتى كاد ينسينى أن شيخى من قتلاك .

ابراهيم : اقتصد فى يمينك فانى لم أزل قاتل أبيك .

نعمان : لقد احتسبت حياة أبى فى سبيل حياة العرب . رحم الله أبى ، لو عاش حتى علم حقيقة مسعاك لرجوت أن يكون نصيرا لك ، ولكن والى عكاء خدعه إذ أوهمه انك تسعى لتثبيت أقدام الترك فى البلاد .

ابراهيم : ما يدريك أنى لست كما يقول والى عكاء ؟

نعمان : هيهات يا مولاى أن يشك اليوم أحد فى مسعاك . لقد وضح الصبح لدى عينين .

ابراهيم : فأين كانت عيناك حين جئت تحمل لى الموت فى يمينك ؟

نعمان : كانتا معى يا مولاى ، ولكن ثامرا أعماهما — أعمى الله عينيه .

ابراهيم : من ثامر هذا ؟

نعمان : هو أخي وشيخ القبيلة بعد أبي . قد رابه تسويفي للجريمة من يوم إلى يوم فأقسم ليقتلنّي غدا إن لم أنفذّها الليلة . وإني والله ما حملت الخنجر إليك إلا وأنا أتمنى أن يقع من يدي أو يرتدّ في نحري .

ابراهيم : من هؤلاء الذين هاجمونا الليلة ؟

نعمان : رجال من بني عمومتنا يا مولاي .

ابراهيم : أين كان أخوك ثامر .. لم لم يجيء معهم ؟

نعمان : كان في الحيّ ينتظرنا أن نلحق به بعد ارتكاب الجريمة .

ابراهيم : ألا ترى مطامعا في استرضائه واستمالته الينا ؟

نعمان : ما إخاله يكف عن محاولته الأثيمة وتحريضه العشيرة على الأخذ بالثأر .

ابراهيم : (يطرق هنيهة ثم يقول) ما أراك إلا صادقا فيما تقول فما تظنّني صانعا بك ؟

نعمان : إن تعاقب فعدل منك يا مولاي وإن تعف عني فأنت لذلك أهل .

ابراهيم : قد عفوت عنك فاذهب حرا أين شئت .

نعمان : شكرا لك يا مولاي ولكني لا أستحب عفوا يقصيني عن خدمتك، فهل لي أن أقاتل معك حيثما قاتلت . ولعلي أدفع

عنك كيد أخى ورجاله فانى أعرفهم دونك .

ابراهيم : ما رأيك فيه ياسرحان ؟

سرحان : لا أستطيع أن أشير عليك به بعد أن خدعنى هذه الخدعة الكبرى يا مولاى .

ابراهيم : ولكنى أثق به لأنه لا ينخدع مثلك ياسرحان .

سرحان : أتعفو عنه يا مولاى ولا تعفو عنى وهو الذى أوقعنى فى غضبك ؟

ابراهيم : سأوجّل العفو عنك ياسرحان حتى ندخل مدينة عكاء غدا إن شاء الله .

سرحان : غدا . . . أقرّرت الهجوم غدا يا مولاى ؟

ابراهيم : نعم .

سرحان : (تهلل اساريره) يا بشرى ! والله لأكوننّ أول رجل فى جيشك يقتحم السور .

ابراهيم : (مبتسما) أنت لها يا ابن غالية .

(يقبل الأمير عباس باشا والكولونل سيف واحمد المنيكلى بملابسهم الرسمية)

عباس باشا: (لزميليه الضابطين) هذه آثار الدم على الأرض .

سيف : نعم دماء الثلاثة الذين قتلوا .

احمد المنيكلى : أجرت معركة هنا ونحن لا نعلم ؟

سيف : (لابراهيم باشا) خير يا مولاى .

عباس باشا: ماذا حدث ياعم ؟

ابراهيم : حادث بسيط . . جماعة من الأشقياء أرادونى بسوء فكفانى الله شرهم بهذين البطلين (يشير إلى سرحان ونعمان) .

سيف : (يصافح سرحان ثم نعمان) امدد يدك يا سرحان . . وأنت يا بطل.

عباس باشا : (يصافحهما ايضا) بارك الله فيكما .

احمد المنيكلى : (يصافحهما) أهنئكما .

سرحان ونعمان: (على وجوههما آثار الخجل) شكرا .

احمد المنيكلى : ولكن كيف جاء الأشقياء هنا ؟

عباس باشا: نعم . . كيف أمكنهم ذلك ؟

ابراهيم : لا تسألوا عن هذا الآن فسأقصه عليكم غدا إن شاء الله فى قصر عبد الله باشا بعكاء .

الضباط الثلاثة : (ينظر بعضهم إلى بعض) غدا بعكاء !

سيف : أينوى مولاى الهجوم ؟

ابراهيم : نعم ولهذا دعوتكم الآن . أين خريطة المدينة أهى معك ؟

سيف : (يستخرج الخريطة من جيبه الداخلى ويقدمها لا براهيم باشا)

نعم يا مولاى هذه هى

ابراهيم : (يتناولها وينشرها معتمدا بها على حائط الرواق — ينظر فيها مليا)

تعال ادن منى يا سيف .

سيف : (يدنو منه) مولاى .

ابراهيم : انظر ياسيف ألست ترى أن هذه النقطة صالحة لنهاجم سور المدينة منها ؟

سيف : حقا يا مولاى فهذا أقصر خط إلى كبرى الفتحات الثلاث التى أحدثتها مدافعنا فى السور . . ولكن . .

ابراهيم : ولكن ماذا ؟

سيف : أرى يا مولاى أنه لم يحن وقت الهجوم بعد .

ابراهيم : لم يحن وقت الهجوم بعد ؟ أنبقى إذاً نصف عام آخر حتى نفتح هذه المدينة ؟ لا ياسيف .

سيف : إنّ مآلها التسليم يا مولاى حين يطول عليها الحصار وينفد فيها القوت .

ابراهيم : ما أحسب هذه المدينة ينفد منها القوت ولو حاصرناها عاما كاملا .

سيف : صبرا قليلا يا مولاى . .

ابراهيم : لن أصبر أطول مما صبرت . لقد أوشكت الليلة أن أغرق فى شبر ماء من طول مقامى فى هذا القصر .

سيف : تعنى حادث الليلة يا مولاى . . حماك الله من كل سوء .

عباس باشا : كيف جرى هذا الحادث ياعم ؟

ابراهيم : ستعلم ذلك يا ابن أخى غدا فى عكاء . وما أحسبه إلا إيذانا من الله لنا بالهجوم .

سيف : ولكن فى الهجوم غداً شيئا من المجازفة يا مولاى .

ابراهيم : إن من النجاح مالا يدرك إلا بالمجازفة .

سيف : إن المدينة يامولاى مازالت أمنع من أن يغير عليها الجيش وإنّ مدافعها سوف تحصده حصدا .

ابراهيم : (متبرما) كفى نقاشا وتثبيطا ياسيف .

سيف : إذكر يامولاى أنها أعيت قبلك صرامة نابليون .

ابراهيم : (يحمر وجهه غضبا ويلقى الرمح الذى بيـــده على الأرض) دعنى من نابليون فانىّ إبراهيم !

(يصمت الجميع هنيهة)

سيف : سامحنى يا مولاى إن أثرت غضبك فما هو إلا الرأى الذى عودت عليه رجالك . وإنى بعد لعبد مطيع لك .

ابراهيم : (يهدأ غضبه) هذا ما يقتضيه الرأى يا سيف . انك تعلم أنّ الأتراك سيعاودوننا بأكبر جيش لديهم فان يجدوا قوّاتى حينئذ شطرين .

سيف : رأيك الرأى الأعلى يا مولاى .

ابراهيم : (يضرب على صدر الكولونل سيف) عشت ياسيف ، عشت يا زميلى القديم .

سيف : عبدك الدهر يا مولاى .

ابراهيم : لن تعجزنى عكاء وأنت معى .

سيف : شكرا يا مولاى .. شكرا .

ابراهيم : توكلوا على الله يا أبطال. إن صوت النصر يناديناً من أفواه تلك الثغر التى فى السور. ألا فاسمعوه ألا فلبوه !

الجميع : (أصوات) سمعنا ولبيناسمعنا ولبينا! لبيك كلنا طوع يديك !

ابراهيم : ليهبّ الآن الجيش كله واختاروا أشجع فرسانه ليكونوا فى طليعة الهاجمين : وستحملنى فرسى بينهم والله معى .

الجميع : الله ونحن معك .

ابراهيم : (يلتفت إلى سيف) وعلى رجالك ياسيف أن يحمونا بنيرانهم من حفافينا ريثما ننسف الأسوار ونقتحمها بإذن الله فاتحين .

سيف : سمعا ياسولاى . . لترعك عين الله .

الجميع لترعك عين الله .

ابراهيم : (ينظر فجأة إلى الافق) الله أكبر ! انظروا يا أبطال النيل ها هو ذا الفجر قد طلع .

(ينظر الجميع إلى الأفق)

لن تطلع شمس اليوم حتى نفتح تلك التى ارتدّ عنها نابليون! إن الله لا يرضى أن تفتح هذه البلاد لغير العرب .

الفصل الثالث

فى سهل قونيه فى اليوم التالى لمعركة قونيه التى انتصر فيها ابراهيم باشا انتصارا حاسما على الأتراك . بجانب من المعسكر المصرى يظهر فيه على يسار المسرح جانب من خيمة ابراهيم باشا يشتمل على هو استقبال كبير وغرفة نوم يفصلها عن البهو باب واسع يظهر سرحان فى الزاوية اليمنى من المسرح خارج الخيمة

سرحان : أين كنت ياصديق نعمان ؟ هلمّ إلىّ — هنئنى أهنئك — هنيء أرض العرب .

نعمان : (يقبل من يسار المسرح فيعانقه) اليوم تقرّ العين

سرحان : ويحيا القلب

نعمان : ويصفو العيش

سرحان : عشت ياسهل قونيه . فيك قصمنا ظهر العدوّ فلن يكون له على بلاد العرب بعد اليوم سلطان .

نعمان : أتدرى كم قتل منهم وأسر ؟

سرحان : أخبرنى الكولونل سيف بأن أسراهم يبلغون حوالى ستة آلاف وأن قتلاهم ضعف هذا العدد أو أكثر

نعمان : سبحان الله . . أتمّ ذلك كله فى سبع ساعات ؟

سرحان : أجل ولكنها سبع ساعات فى طولها كسبع ليال. لقد رأيتنى وأنا أقاتل عن يمين مولاى ابراهيم باشا وهو يحرّض

الصفوف ويضرب ضرباته فى أبطال القوم وقد التحم الجيشان وغربت الشمس واعتكر الليل فما يعرف بعضنا بعضا إلا بالنداء حتى انهزم القوم كأننا كنا فى حلم. ومن يصدّق قط ان الجيش المصرى لم يخسر بعد هذا كله إلا ثمانمائة بين قتيل وجريح ؟

نعمان : آمنت بالله وأيقنت أن النصر بيده يؤتيه من يشاء

سرحان : لاريب فى ذلك فقد كنا أقل عددا منهم فى كل معركة هزمناهم فيها ولكن لاتنس ان الجيش بقائده

نعمان : صدقت . . ليس فى الدنيا بطل كابراهيم باشا . ولا عزم أمضى من عزمه

سرحان : ألا تعلم يانعمان أنه ليس بيننا وبين اسطنبول الآن إلا مسيرة خمسة أيام ؟ آه لو تعلم أمى أىّ انتصار مجيد شهد ابنها اليوم للعرب . إذن لقل عندها ماباعته من حليها لتجهز فى إلى مصر

نعمان : (يظهر عليه التأثر) وددت لو أن أبى لم يقتل ياسرحان حتى شاهد استقلال بلاد العرب اليوم . إذن لفدى ابراهيم باشا بمهجته وبأرواح كل بنى النعسان

سرحان : مامضى فات يانعمان فدع عنك التحسر والذكرى . دعنا نطرب . دعنا ننهب صفو هذا اليوم . هذا يوم تعتق من ذلها أوطان العرب . هذا يوم يرجع من مجدنا ماذهب

هذا يوم بسام الثنايا وضيء الشنب . فجره لؤلؤ والضحى فضة والأصيل ذهب !

نعمان : بعض هذا الفرح ياسرحان، فمن يدرى ماذا تضمر الأقدار لنا فى هذا اليوم ؟

سرحان : دع عنك التشاؤم يانعمان بيوم يزهر بالآمال

نعمان : إنى لمحت أخى ثامرا فى المعسكر هذا الصباح

سرحان : ماذا تخشى منه ؟

نعمان : لاأخشاه على نفسى وإنما أخشى أذاه على مولانا إبراهيم باشا . . فبالغ فى حراسته ياسرحان ولا تأخذ عينيك سنة

سرحان : (يضحك مازحا) إلا أن تذوف لى فى القهوة مرقدا يانعمان

نعمان : لاتمزح ياسرحان فليس هذا أوان المزاح . علينا أن نرابط هنا ولا نبرح جوار الخيمة قط .

سرحان : لكنى قد استأذنت مولاى ابراهيم فأذن لى بأن أجرى فى طلب القائد التركى لعلى أمسكه فأعود به أسيرا إلى مولاى

نعمان : ماشأنك والقائد التركى ؟ أليس حراسة مولاك أهم من هذا وأوجب ؟

سرحان : فى هيبة مولاى إبراهيم وفى إقدامك يانعمان غنى عنى

نعمان : إنى أدرى بأخى منك ياسرحان . انه فاتك كالموت وموتور كالليث المهيج وإنى أخوه وقد لاتقوى على طعنه يمناى

سرحان : ما إخالك تؤثر هذا الأخ المأفون على آمال العرب

نعمان : معاذ الله ياسرحان ولكنه مرهوب اللقاء

سرحان : ولست جبانا يانعمان فتخشى لقاءه

نعمان : (متبرما) لاأستطيع أن أحاجّك الآن ياسرحان وحسبي أن أقول لك إن قلبي ينذرني بالشر

سرحان : دع عنك وساوس قلبك . لاتخف سوءا . . إنّ ابراهيم ليحميه ربه حتى يكمل استقلال العرب

(يهز يد نعمان) فيك الخير يانعمان . . انك لاتنخدع مثلي. الى اللقاء

نعمان : (يحاول كتمان ألمه) الوداع ياسرحان

(يمضي سرحان)

نعمان : (يحدث نفسه والحزن يادعليه) أبي . . . رحمة الله عليك ! أبي ماأشقاني بك. كلما ازددت سروراً بانتصار العرب واستقلال بلادهم ازددت ألما لأنك لم تشهده . . بل لأنك قتلت دونه . ليت شعري أحقا أنت ناقم عليّ وأنت في العالم الآخر لأني لم أطلب بثأرك بل جعلت أناصر قاتلك وأفديه بنفسي من كل سوء ؟ وهذا ابنك الآخر قد جاء باذلا روحه ليثأر لك وقد جعلت وكدي أن أحول بينه وبين مايريد ولو أدى ذلك إلى قتله . آه يا أبت ما أشقاني بك ما كان ضر الأقدار لو أمهلتك بضعة أشهر، إذاً لكنت

يا ابت أعقل واحكم من ان تؤثر والى عكاء الغادر على ابراهيم منقذ العرب. رباه هذا أخي ثامر قد أقبل يسعى . ومن ذاك الذي معه ؟ ما أشبهه بخالد ابن عمي .. نعم هو خالد نفسه

(يظهر ثامر وخالد متنكرين — يستخفي نعمان)

ثامر : لن يفلت مني ابراهيم اليوم . . سأقتله في أوج انتصاره

خالد : أما إنه لانتصار عظيم لابراهيم ادال به للعرب من ظالميهم وولاهم في الإدارة والجيش الرتب الكبرى بعد ذلك الغبن الطويل عليهم في العهد التركي .

ثامر : حق ما تقول ، فلاشك ان ابراهيم هو المنقذ المأمول لتخليصنا من ظلم الدولة . ولو أبصرتني أمس اذ كنت أرقب غرة منه لأقتله لرأيت عجبا . فقد اندفعت إلى المعمعان بلا وعي مني كالليث المهيج أقاتل اعداءنا في صفوف المصريين

خالد : أجل قد رأيتك أمس كأنك من جند ابراهيم

ثامر : أكنت أبصرتني ؟ أين كنت أوانئذ ؟

خالد : كنت خلفك غير بعيد منك وقد كان مني ما كان منك فلم أتمالك إذ التحم الجيشان وأبصرت قلة جيش العرب وكثرة اعدائهم ان خضت الوغى في صفوف المصريين . فطابت نفسي حينئذ واطمأنت كأني كنت اخا ذنب يقظان الضمير فتبت

ثامر : عجبا هذا ماشعرت به ايضاً إذ ذاك .. والله لكأنك تحدثني عما كان يجول بنفسي . . ولكن ما شأن هذا وشأني ؟ لا شأن لي إلا بأبي ، والذي روى الأرض من دمه هو ابراهيم فلا بد لي أن اثأر منه

(يتلفتان حولهما فيتوارى نعمان)

أعلى استعداد أنت لتلقي الموت انتقاما لعمك فهد ياخالد ؟

خالد : ما سؤالك هذا ياثامر ؟ هل جئنا الا لهذا ؟

ثامر : عشت ياابن عمّي. هذه خيمة ابراهيم فلنرصدها حتى اذا خرج هاجمناه من خلفه ومن أمامه

خالد : دعنا الآن نبتعد قليلا لئلا يرتاب بأمرنا أحد

(يختفيان)

نعمان : (يظهر من مختباه) ويل لهما عازمان على الفتك به. ياليتك ياسرحان بقيت هنا . أأقول لمولاي ابراهيم ليأخذ حذره ؟ لكني لا أجسر على ذلك فقد كان يجب عليّ ان افتك بهما أو أصيح بالجند ليقبضوا عليهما . ما الذي منعني من ذلك كأني مغلول اليدين معقود اللسان؟ . . . هذا مولاي ابراهيم والكولونل سيف قد اقبلا . ماجاء بهما الآن ؟ أقد انتهيا من استقبال وفود التهنئة ؟

(يدخل ابراهيم باشا والكولونل سيف إلى بهو الخيمة)

ابراهيم : نعمان، أنت هنا ؟

نعمان : نعم يا مولاى

ابراهيم : أين صديقك سرحان ؟

نعمان : ذهب فى طلب القائد التركى يامولاى

ابراهيم : نعم . . نسيت أنه استأذنى فى ذلك فأذنت له . اذهب يانعمان إلى سرادق الاستقبال فقل لمن هنالك إذا جاء أحد من زعماء الوفود يريد مقابلتى فليأتوا به هنا .

نعمان : سمعا يامولاى (يخرج)

ابراهيم : (للكولونل سيف) أرأيت كيف جاءت وفود البلاد حتى ديار بكر تهنئنا وتقدم لنا ولاءها وطاعتها

سيف : أجل يامولاى . إن البلاد كلها أصبحت فى قبضة يدك

ابراهيم : (يتنهد) ولكن هذه الدول الأثيمة أبت إلا أن تغلّ هذه اليد

سيف : سرّ عنك همومك يامولاى فسوف تسير الأمور على ماتريد

ابراهيم : ما شأن دول الغرب بنا تتداخل فيما ليس يحق لها من شؤون الشرق؟ ليت شعرى متى يأتى يوم يعرفون به أنهم ليسوا أوصياء علينا وانّا لسنا بأطفال قصّر ؟

سيف : إنهم أوجسوا منكم خيفة إذ رأوكم تقيمون هذا الشعب الهائل عدده، المجيد تاريخه، من هوان طال به تحت كلكل هذا الشيخ المريض

ابراهيم : الشيخ المريض أحبّ اليهم من شعب فتىّ يحبط اطماعهم

فى الشرق. آه ليت كتاب أبى لم يصلنى إلا على باب اسطنبول فما دونها من هنا إلا بضعة أيام

سيف : هب كتاب أبيك لم يأتك بعد يامولاى

ابراهيم : أتدعونى ياسيف لأعصى سيّدى الوالى ؟

سيف : لا وعيشك يامولاى، ولكنها فرصة ربما لا تتاح غدا مثلها لاجتثاث القرحة من أصلها حتى لا تعلّ الجسم الذى قد شفاه الله بطب يديك . لن تأمن مصر على نفسها أو على اقطار العروبة ما دام هذا العنكبوت بأسطنبول يرى ان من حقه ان ينفث فى الوطن العربى خيوطه

ابراهيم : وذئاب الغرب ياسيف ؟

سيف : إن الأمر الواقع كفيل بأن يجعلها تبصبص بأذنابها للأسد المصرى حينما يستوى على عرش الشيخ المريض

ابراهيم : لكن كتاب ابى يقتضى ان لا أتقدم بعد كوتاهيا قيد شبر وإنى لن افتات عليه ولو زويت لى اقطار الدنيا

سيف : ما الرأى إذن يامولاى ؟

ابراهيم : ان اكتب إلى سيدى الوالى وانتظر رده فى اقتراح مواصلة الزحف حتى اسطنبول

سيف : ستضيع الفرصة يامولاى إذا نجحت دول الغرب فى دفع مولاى الوالى لقبول الصلح .

ابراهيم : لأبى الرأى الأعلى . وله الأمر فى كل حال

(يدخل عباس باشا)

عباس : سلام عليكم

سيف : وعليك السلام

ابراهيم : إنك لم تشهد الوفود ياعباس . . اين كنت ؟

عباس : ذهبت مع المطاردين لفلول العدو ياعم

ابراهيم : ما نبوءهم ياعباس ؟

عباس : شردناهم فى تخوم الأرض فسالت مئات منهم على أطراف الرماح وهلك كثير من التعب والإعياء وطوحت بالباقين منا ياهم فى أيدى العربان والأكراد

ابراهيم : أبليت وغامرت ياابن أخى .

عباس : منك ياعم تعلمت هذا الغمار

ابراهيم : بارك الله فيك .إن الغمار لنصف النجاح وما أدرك المجد ذو إحجام وإن الموت لفى يد من احيـاك أو لم تظفروا برشيد باشا قائدهم

عباس : لا والله ياعم . . لا ندرى كيف ابتلعته الأرض .

ابراهيم : ستلفظه لنا يوما يابنى

(ينهض من مجلسه) اشتهى ان انام قليلا . . تعبت من استقبال وفود التهانى من كل صقع بعيد

سيف : أجل يامولاى إنك لفى حاجة إلى الراحة

ابراهيم : سبحان الله . . انى لأتعب من استقبال وفود التهنئة ما لا أتعب من قراع كتائب المعمعة

سيف : تلك يامولاى شيمة البطل .

ابراهيم : البطل ياسيف من لا يضيق ذرعا بشىء . ذاك أبى ـ حفظه الله ـ هو أقوى منى فى هذا السبيل

سيف : إن العناية الآلهية قد اختارتكما بطلين لدولة عظيمة أحدهما يشيدها ويعلى بناءها والآخر يسوسها ويرفع لواءها

ابراهيم : (يبتسم) ما أحسن ما قلت ياسيف (يدخل الخدم)

عباس : هل حدثك عمى عن كتاب أبيه بوقف الزحف ؟

سيف : نعم ياسمو الأمير .

عباس : وما عزمه ؟

سيف : أن يطيع أمر جدّك لا ريب

عباس : عزيز هذا والله علينا وما دون اسطنبول سوى أيام معدودة

سيف : ربّما يكون فى هذا ياأميرى خير

عباس : آه يا كولونل سيف لو تدرى كم تشتاق نفسى الى فتح اسطنبول !

سيف : كل شىء رهين بإبّانه ياصاحب السمو

(يدخل الحاجب)

الحاجب : بالباب فتى يتظلم من أحد الجنود ويرجو مقابلة الباشا

عباس : دعه يرجع بعد قليل . . فالباشا الآن نائم

سيف : لا يا سمو الأمير بل أشعره الآن . فقد أمر الباشا أن لا نتأخر فى رفع أية شكوى اليه فى أىّ حين

عباس : ولو كان فى نومه يا كولونل ؟

سيف : نعم ولو كان فى نومه . هكذا أمر

عباس : (ينهض) حسنا . . سأنبهه

صوت ابراهيم : من هذا ؟

عباس : أنا عباس

صوت ابراهيم : ادخل يابنى

(يدخل عباس الغرفة)

سيف : (لنفسه) لا يأتى هذا المتظلم إلا هذه الساعة ليزعج الباشا من نومه

(يخرج ابراهيم باشا من الغرفة وخلفه عباس)

ابراهيم : (للحاجب) ادخل بالفتى ياغلام

الحاجب : سمعا يامولاى (يخرج)

سيف : ما كان لنا أن نوقظك يامولاى لولا أمرك

ابراهيم : خيرا صنعتما . لا بأس بتأخير النوم ولكن لا ينبغى أن يؤخر العدل

(يعود الحاجب ومعه الفتى)

الفتى : (متهيبا) أيد الله مولاى الباشا

ابراهيم : ممن تتظلم ياعبد الله ؟

الفتى : من جندى مدين لى بمجيديّين يامولاى أتيت أطالبـــه فاعتدى بالضرب علىّ . .

ابراهيم : ما اسمه ؟

الفتى : لا أعرف اسمه يامولاى

ابراهيم : أتعرف موضعه بالمعسكر ؟

الفتى : نعم يامولاى الباشا

ابراهيم : (يتجه نحو باب الخيمة) هلمّ إذاً أرنيـــه . واحرّ فؤاداه من هؤلاء الجنود! أما علموا بعد أنّا ماجئنا فاتحين لهذه البلاد ولـكنا جئنا منقذين

(لعباس والكولونل سيف) اذهبا فاخطبا فى جموع الجيش بأن يلزموا الاستقامة والحسنى فى هذه البلاد ، فعار بنا أن نكون كمن أجليناهم عنها بالسيوف من القوم الظالمين

عباس : سمعا ياعم

سيف : سمعا يامولاى

(يخرج عباس وسيف)

ابراهيم : هيّا يا فتى أرنى الجندى الذى ظلمك

الفتى : أيدك الله يامولاى وأبقاك للعدل

(يخرج هو والفتى إلى خارج الخيمة)

ابراهيم : امش قدّامى

(لايكاد ابراهيم يمشى بضع خطوات حتى يبرز له خالد ويظهر ثامر من خلفه)

ابراهيم : ويل لك . . ماذا تريد ؟

خالد : (يهم بطعن ابراهيم) نريدك

(يسبقه ابراهيم ويدفعه فى صدره دفعة ألقته على الأرض بعيدا)

ثامر : (ينطلق نحو ابراهيم ليطعنه من خلفه) لن يخطئك الأجل اليوم

(يبرز نعمان فجأة فيعترض ثامرا فيصطرعان ويقعان على الأرض ويصابه نعمان بطعنة من ثامر وهو لايعرف أنه أخوه)

نعمان : تبّا لك ياثامر . . تقتل أخاك من أمّك وأبيك !

ثامر : (مدهوشا) نعمان . . أخى ! ويل لك ، أنقذت قاتل أبيك من يدى

نعمان : بل أنقذت من يمناك الأثيمة مولى العرب!

ثامر : « يصيح » النجاء يا خالد! انج بنفسك!

« يلوذ خالد بالفرار — يحيط الحرس والجند بثامر ، ونعمان لايزال قابضاً على ثيابه حتى قبضوا على ثامر »

ابراهيم : « يقترب من نعمان » ويحك يا نعمان لماذا عرضت نفسك لهذا الخطر ؟

نعمان : « بصوت ضعيف » مولاى إنك وهبت الحياة لى فرددت إليك الهبة . وأعدت الحياة لأمة العرب فسيجزيك الله عنها حياة الأبد

ابراهيم : « لمن حوله من الحرس » احملوه إلى غرفتى وهلموا الطبيب سريعاً

« يحمل نعمان إلى غرفة إبراهيم باشا »

« يحضر الطبيب »

ابراهيم : بحياتى عليك يا طبيبى عالج هذا الفتى كما لو كنت تعالجنى

الطبيب : سمعاً يا مولاى . . عسى ربى أن يوفقنى لرضاك

ابراهيم : جعل الله فى كفيك الشفاء

« يمضى الطبيب إلى الغرفة »

« يقف إبراهيم باشا على باب الغرفة ينظر إلى الطبيب وهو يفحص جرح نعمان »

ابراهيم : أهو مغمى عليه يا جناب الطبيب ؟

الطبيب : نعم يا مولاى

ابراهيم : ما هذا النزيف ؟ ألا يمكن قطعه ؟

الطبيب : من تمزق فى بعض الشرايين يا مولاى . لا بد من إجراء عملية له

ابراهيم : أيوجد أمل فى نجاته ؟

الطبيب : أرجو ذلك يا مولاى

ابراهيم : بشرك الله بالخير

« يقبل مساعدا الطبيب يحملان معهما بعض الأدوات الطبية وآلات الجراحة ويدخلان الغرفة »

ابراهيم : أخبرنى حين يزول عنه الخطر

الطبيب : سمعاً يا مولاى

« يعود إبراهيم باشا إلى البهو »

ابراهيم : لاحول ولا قوة إلا بالله . . مسكين نعمان!

عباس : « يدخل مسرعاً » الحمد لله .. لعلك لم تصب بسوء ياعم

سيف : « يدخل أيضاً » لا بأس عليك يا مولاى

ابراهيم : لله الحمد . . لم أصب بسوء . ولكن جرح نعمان إذ وقانى بنفسه من كيد أخيه

عباس : أخوه !

ابراهيم : نعم ، أخوه الذى يطلبنى بثأر أبيه الشيخ فهد النعسان

سيف : أظل هذا الأثيم يلاحقنا من عكاء إلى هنا ؟ أخشى أن يكون ذلك الفتى المتظلم شريكاً له فى الجريمة

عباس : نعم ياعم لعل الأثيم هو الذى بعثه ليصطنع ذلك التظلم حتى يحملك على الخروج

ابراهيم : ما أظن ذلك . . ولكن لا بأس ياعباس أن تبحث عنه خارج الخيمة فإن وجدته فى انتظارى فانه برىء وإن لم تجده فقد يكون هرب خوفاً من الشبهة

عباس : سأفعل ذلك

« يخرج عباس هنيهة ثم يعود »

عباس : قد وجدته ينتظر ياعم

ابراهيم : إذاً فاذهب معه فانتصف له من غريمه الجندى ومر به أن يوجع ضرباً ليكون عبرة لغيره

عباس : سمعاً ياعم . « يمضى »

« يدخل سرحان ومعه القائد التركى رشيد باشا وهو فى ملابس فلاح »

سرحان : ها قد جئتك يا مولاى بقائد جيش القوم

إبراهيم : أين هو . . ؟

سرحان : (يشير إلى رشيد باشا خلفه) هو ذا يامولاى قد تنكر فى ثياب فلاح فدللت عليه

ابراهيم : (مستغربا يتأمل فى وجه الأسير فيعرفه) رشيد باشا، أهلا بالصدر الأعظم . . مرحبا بزميلى القديم

(يمد يده إليه ليصافحه فاذا القيد فى يديه) لاوالله لاينبغى لرشيد باشا أن يحمل القيد

رشيد باشا : لاتعطف علىّ ياابراهيم باشا فان الويل للمغلوب

ابراهيم : تلك شيمة غيرنا . أما نحن فما ينبغى للمغلوب عندنا أن يذل

(يحل القيد عنه بيده)

رشيد باشا : (يظهر عليه الامتعاض) شكرا لك ياإبراهيم باشا .

ابراهيم : أردت أن أقول لك تفضّل بالجلوس لولا أنه يؤلمنى أن أرى زميلى الكبير فى هذه الملابس .

(يلتفت إلى الكولونل سيف) فهل لك ياجناب الكولونل سيف أن ترافق جناب الصدر الأعظم إلى نقطة المؤن ليرتدى مايشاء من الملابس العسكرية الممتازة ثم تعودان معا إلىّ

سيف : (لرشيد باشا) تفضل ياجناب الصدر الأعظم .

(يخرج رشيد باشا والكولونل سيف)

ابراهيم : (ينظر إلى سرحان) إنك لبطل ياسرحان . .

سرحان : (يضحك) ألأنى قبضت على هذا الفلاح يامولاى ؟

ابراهيم : (يبتسم قليلا ثم يقطب فجأة) أما علمت ياسرحان ؟

سرحان : (فى مظهر اهتمام) بم يامولاى ؟

ابراهيم : بالذى حدث . .

سرحان : ماذا حدث يامولاى ؟

ابراهيم : صديقك نعمان . .

سرحان : نعمان .. أصيب بسوء يامولاى ؟ هل جاء أخوه الوغد ؟

ابراهيم : نعم

سرحان : الحمدلله إذ سلمت يامولاى من كيد الأثيم فدمت لمجد العرب

ابراهيم : كيف علمت ياسرحان أن هذا الأثيم سيجىء هنا ؟

سرحان : قد أنذرنى نعمان بذلك فى الصباح وألحّ علىّ أن أبقى معه لحراستك يامولاى . فيالليتنى أطعته

ابراهيم : أكان نعمان يعلم ذلك من قبل ؟

سرحان : لا يامولاى ولكن نعمان كان دائما يتوقع مجىء أخيه ويخشى عليك من كيده . . أخبرنى يامولاى أقتل نعمان ؟

ابراهيم : كلا . . لا بأس عليه إن شاء الله . . هو تحت العلاج

سرحان : أبقى الله مولاى . . أين هو الآن لأراه ؟

ابراهيم : الطبيب يعالجه ثم فى غرفتى .

(يهم سرحان بالذهاب الى الغرفة)

ابراهيم : (يستوقفه) لا . . ليس الآن ياسرحان . . حتى تتم العمليّة التى تجرى له

(يترقرق الدمع فى عين سرحان)

ابراهيم : لاتبك ياسرحان فلا خوف عليه إن شاء الله

سرحان : (هامسا) بعض فرحك ياسرحان . . فمن يدرى . . .

ابراهيم : ماذا تقول ؟

سرحان : تذكرت كلمته لى فى الصباح إذ رآنى فرحا بالنصر فقال لى: بعض فرحك ياسرحان فمن يدرى ماذا تضمر لنا الأقدار فى هذا اليوم ؟

ابراهيم : أما إنك لشديد الحب لنعمان

سرحان : والله ما أحببته الا فيك يامولاى وفى العرب . إنه ليحبك حبا شديدا

ابراهيم : أجل . . لولم يحبنى لما فدانى بنفسه . ياليت أخاه يكون مثله

سرحان : أين أخوه يامولاى ألم تقتلوه ؟

ابراهيم : كلا . . . هو مقبوض عليه حتى نرى رأينا فيه

سرحان : أشتهى أن أرى هذا المجرم وأقتله بيدى. ائذن لى يامولاى أن أذهب إليه

ابراهيم : لا ياسرحان . سآمر باحضاره هنا حتى تراه بين يدى . ادع لى أحد الحرس

« يخرج سرحان ويعود ومعه الحرسى »

ابراهيم : « للحرسى » إذهب فأتنى بالمجرم المقبوض عليه

الحرسى : سمعاً يا مولاى . « يخرج »

« يدخل عباس باشا »

ابراهيم : هل عاقبت الجندى يا عباس ؟

عباس : نعم ياعم

ابراهيم : لقد أحسنت

عباس : « يدنو من سرحان » أهنئك يا سرحان بنجاحك فى القبض على رشيد باشا

سرحان : شكرا ياسمو الأمير

عباس : أين هو الآن ؟

ابراهيم : ذهب إلى نقطة المؤن ليغير ملابسه

عباس : (فى استغراب) ليغير ملابسه ؟

سرحان : كأنّ سيدى الأمير لم يعلم أنه جاء هنا فى ثياب فلاّح

عباس : (يضحك) وددت والله لو رأيته فى تلك الحال، إذاً لضحكت ملء فمى عليه

ابراهيم : إيّاك يابن أخى أن يرى منك رشيد باشا شماتة أو سخرية به ، فهو رجل عظيم وزميل لعمّك قديم

عباس : عفوا ياعم . لم أملك نفسى إذ سمعت هذا الخبر أن ضحكت ولن أصنع ذلك فى حضرته

(يعود الكولونل سيف ومعه رشيد باشا وهو فى زى عسكرى فاخر)

ابراهيم : (يتلقى رشيد باشا) تفضل يارشيد باشا . .

رشيد : شكرا

ابراهيم : (يقدم له عباس باشا) هذا الأمير عباس باشا ابن أخى .

رشيد : (يصافح عباسا) أهلا بك ياعباس باشا

ابراهيم : تفضلوا

(يجلس الجميع. ابراهيم باشا ورشيد باشا فى صدر البهو)

ابراهيم : (لرشيد باشا) أرجو أن تكون كما تحب ياجناب الصدر الأعظم

رشيد : أنا عاجز عن شكرك ياجناب الباشا على كرمك

ابراهيم : أستغفر الله . بل أنا العاجز عن شكرك على هديتك القيمة

رشيد : إنك تشكرنى على شىء لم أفعله

ابراهيم : (يبتسم) بلى . . إنك أهديتنى . . . (يلتفت الى الكولونل سيف) كم مدفعا ياكولونل ؟

سيف : اثنين وتسعين مدفعا ياموﻻى .

ابراهيم : (لرشيد) وغيرها من الذخائر والمؤن . أفلا أشكرك عليها ياجناب الصدر الأعظم ؟

رشيد : (كاظما غيظه) إنها قليل من كثير عندنا ياجناب الباشا

ابراهيم : إننا لانستغنى عن ذاك الكثير . فلعل خلفاءك من القواد لايبخلون علينا بالمزيد .

رشيد : إن خلفائى قد يستردّون الهدية التى تشكرنى عليها اليوم فلا أستحق هذا الشكر حينئذ

ابراهيم : قد ورد فى الحديث الشريف أنّ العائد فى هبته كالعائد فى قيئه، وإن محافظتى على كرامة خلفائك تمنعنى أن أمكنهم من إتيان هذا الأمر الذى لا أرضاه لهم

رشيد : ان كنت لا ترضى لهم هذا فقد يطمعون أن تهديهم من قليل ماعندكم

ابراهيم : إنا نضنّ بعتادنا القليل أن نهديه لغيرنا ولسنا كرماء مثلكم

رشيد : صدقت . إنا لنظلمكم حين نطلب إليكم أن تهدونا من قليلكم وعندنا الكثير الذى لا يحصى

ابراهيم : لعلك لا تخالفنى فى أنّ القليل الذى يضمّ إليه دائما من غيره أكثر من الكثير الذى يؤخذ منه دائما لغيره

رشيد : إنا لا نكثركم بعتادنا فحسب ولكنا نكثركم أيضا بجيوشنا

ابراهيم : إننا معترفون بأن جيوشكم أعظم من جيشنا عددا . وكيف نكابر فى هذه الحقيقة وقد لقيتمونا فى معركة أمس بثلاثة أضعاف جيشنا . وكان هذا حالكم معنا فى كل المعارك السالفة ؟ لا والله لا ننازعكم هذا الشرف أبدا

(يدخل الأمير بشير الشهابى ومصطفى اغا بربر)

بشير : السلام عليكم

ابراهيم : (ينهض من مقعده ليستقبل القادمين) وعليكم السلام . . . أهلا بالأمير بشير الشهابى . . أهلا بمصطفى بربر (يصافحهما) يسرنى ان أقدم اليكما جناب الصدر الأعظم رشيد باشا ضيفنا العزيز

بشير ومصطفى : (يصافحان رشيد باشا) تشرفنا يا جناب الصدر الأعظم .

ابراهيم : تفضّلا . . مرحبا بكما

(يجلسان عن يمين ابراهيم باشا ورشيد عن يساره)

بشير : لسنا ندرى أنهنىء أمير العرب بالنصر الباهر أم بالسلامة من كيد المغتال الأثيم ؟

مصطفى بربر : بل نهنئه بكلا الأمرين وباستقلال العرب

بشير : بل نهنىء أنفسنا بسلامة أوطاننا فى سلامة منقذها الأكبر

ابراهيم : بارك الله فيكما وفى أمثالكما من زعماء العرب فى فلسطين والشام فما أحرزنا النصر إلاّ بفضل الله وفضل تأييدكم لنا فى وقائعنا بالزراعة وعكاء ودمشق وحمص وبيلان

بشير : إن أرواحنا — بله ما تحت أيدينا من أموال وضياع — بين يديك تتصرف فيها كيف تشاء .

ابراهيم : قد أتتنى رسائلكم المهنئة بانتصارات جيشى فكانت سلاما على قلبى. فعلام تجشمتم بعدها كل هذه الصعاب لتهنئتى؟

بشير : لم نملك أنفسنا فرحا إذ سمعنا بنصرك فى قونيه أن شددنا اليك الرحال وجبنا لك الأميال لنشهد يوما لامثيل له فى حياة العرب سيبقى على مر الأجيال

مصطفى بربر : ولكنى آسف ياموﻻى أنّ تهانئى ردّت الىّ

ابراهيم : أكانت مكتوبة باللغة العربية ؟

مصطفى بربر : لا ياموﻻى الباشا بل باللغة التركية

ابراهيم : أما للعرب لسان نعتزّ به يامصطفى بربر حتى تكتب لى بلسان غيرهم ؟

مصطفى بربر : بلى يامولاى ولكنى جريت على السنة المتبعة من قبل

ابراهيم : إنما كانت هذه سنّة متّبعة فى العهد البائد . ذاك يامصطفى عهد قد تولّى لغير رجوع

مصطفى بربر : اعذرنى ياأمير العرب إذ غاب عنى أن أرعى هذا الأدب

ابراهيم : قد يعذركم من يعلم كم طال هذا الهوان عليكم فأنساكم مجدكم ومآثر آبائكم. عجبا. للعرب — عجبا والله يستدرّ الأسى والعطف عليهم كيف يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ ويحهم يعيشون فى مصر ودمشق وبغداد ثم ينسون لغة المعرّى والمتنبى وسيف بنى حمدان!

بشير : صدقت ياأمير العرب، إن حياة الأمة بحياة لسانها

(يدخل الحرسى ومعه ثامر والقيد فى يديه)

ابراهيم : (يشير إلى ثامر) انظروا يا أصدقائى . . . هذا النعسانىّ الذى أراد اغتيالى اليوم فوقانى منه أخوه

(ينظر الجميع اليه مشمئزين)

ابراهيم : هو ذا ياسرحان غريمك الذى طعن صديقك نعمان

سرحان : (ينهض من مقعده) لو أذنت يامولاى فقتلت هذا الأثيم بيدى

ابراهيم : لاتعجل ياسرحان . . سنفصل فى أمره

ثامر : (ينظر الى سرحان) اقتلنى ياهذا إن شئت . فهو أحب إلى نفسى من هذا القيد المذلّ

سرحان : عار على مثلى أن يقتل مثلك فى القيد . .

ثامر : إنّ مثلك لأحقر أن يستطيع قتل مثلي إلاّ وأنا في القيد

سرحان : (لابراهيم باشا) هل لك يامولاى أن تأمر بإطلاق هذا المجرم الأثيم ليبارزني بالسيف فأقتله شرّ قتلة ؟

ابراهيم : (باسما) مايدريك أني لا أعفو عنه ياسرحان ؟

سرحان : تعفو عن هذا الأثيم يامولاى ؟

ابراهيم : نعم . . كما عفوت عن أخيه الذى حاول اغتيالى من قبل

سرحان : لك يامولاى أن تنزل عن حقك ولكني لن أنزل عن حقي ، فقدأهان هذا الرجل شرفي. وعدلك يأبى أن يعفى عن هذا المسيء ويظلم هذا البريء ، فدعني أقتله أو يقتلني

ابراهيم : إنك لأعز عليّ من أن أمكنه منك

سرحان : أتخشى أن يغلبني هذا يا مولاى ؟

ابراهيم : كلا ياسرحان ، ولكنه رجل يتوقع القصاص فهو مستميت وأنت في سعة عن مبارزته

سرحان : لم أعد كذلك يامولاى بعد أن تحداني وأهانني . فإن قتلته شفيت غليلي منه وأوردته ما استحق ، وإن كانت الأخرى فقد غسلت العار الذى ألحقه بي

ابراهيم : إننا بعد في حاجة لبلائك ياسرحان . أما كنت في شوق لليوم السعيد الذى يتحقق فيه خلاص بلاد العرب ؟

سرحان : بلى يا مولاى

ابراهيم : فها نحن أولاء نشارف ذلك اليوم السعيد

سرحان : أجل .. سأموت قرير العين بتحقيق مولاى ذلك الرجاء وفى هذا ما يعزينى وكفى

ابراهيم : نفسى لا تطوّع لى أن أفقد قوة مثلك

سرحان : ستجود العرب بأرواحها فى سبيلك يا مولاى وفيها أىّ غنى لك من مثلى

ابراهيم : كلا . . . لا أستغنى عن أصغر رجل فى الجيش ، وأنت وسائر أفراد الجيش ملك لمصر وللوطن العربى الأكبر لا ملكى

(يخرج الطبيب من الغرفة إلى البهو)

ابراهيم : ما وراءك . . ؟ بشّرنا

الطبيب : قد تمت العملية يا مولاى وزال عنه الخوف

ابراهيم : الحمد لله ، هل أفاق من غشيته ؟

الطبيب : نعم يا مولاى وهو يسأل عن سرحان

سرحان : الحمد لله

الطبيب : ويسأل أيضاً عن ثامر

ثامر : عنى أنا ؟ مسكين أنت يانعمان (يبكى)

سرحان : (لثامر) عنك يا هذا ؟ عن قاتله ؟

ابراهيم : عن أخيه ياسرحان

سرحان : (للطبيب) أفى وسعى أن أراه الآن ؟

الطبيب : نعم فى وسعكما . . لكن لا تطيلا المكث لديه ولا تزعجاه

(ينطلق سرحان إلى جهة باب الغرفة ويتبعه ثامر ويتقدمهما الطبيب)

الطبيب : ادخلا بهدوء

سرحان : (يلتفت إلى ثامر) فيم جئت هنا ؟

ثامر : لأراه يا سرحان معك

سرحان : ألتقتله مرة أخرى ؟ لا والله لا تدخل

ثامر : (يريه القيد فى يديه) كيف أقتله ؟ أما ترى القيد فى يدى؟

الطبيب : لا تختصما فإن أعصابه لا تتحمل هذا الشجار

نعمان : (يسمع صوته من الغرفة) سرحان . . . ادخل ياسرحان ودع ثامراً يدخل معك

سرحان : الحمد لله . . هذا صوت نعمان

الطبيب : (يفتح الباب) ادخلا بهدوء

(يظهر نعمان مسجى على سريره فى الغرفة)

سرحان : (يقبل رأسه) الحمد لله . . أنت بخير يا نعمان

نعمان : نعم أنا بخير يا سرحان

سرحان : لله الحمد . . لقد خشيت يا صديقى عليك

نعمان : لو مت لكان قليلا لمولاى إبراهيم باشا

سرحان : ولكن كان يكون كثيراً على صديقك سرحان

نعمان : (ينظر الى ثامر) وعلى أخى ثامر أيضا . . أقبل ياثامر أقبل الىّ

ثامر : (يتقدم اليه) نعمان .. أخى

نعمان : (يشير بيده) تعال ادن منى

ثامر : (ينحنى عليه فيقبله على جبينه) أخى . . أخى

نعمان : ماذا فى يديك .. ؟ القيد ؟ كثير هذا على ثامر . أين مولاى ابراهيم باشا . . أفى وسعه أن يجىء هنا لأراه ؟

سرحان : سأقول له كى يجىء (يخرج من الغرفة)

نعمان : (لثامر) لكنك تستاهل أكثر من هذا . . كيف تروم أن تقتل منقذ قومك ياثامر ؟

ثامر : سامحنى يا أخى . . قد ندمت على ما فعلت

سرحان : (لابراهيم باشا فى الباب) يشتهى نعمان أن يراك يامولاى

ابراهيم : حبّا وكرامة . (ينهض الى الغرفة ويتبعه سرحان)

(لنعمان) لعلك بخير يانعمان . .

نعمان : فى ظل عطفك يامولاى . . . ألا تعفو عن أخى ثامر؟

ابراهيم : لقد عزمت على أن أعفو عنه

نعمان : أطال الله بقاءك يامولاى

ابراهيم : ولكن سرحان لم يرضه منى

نعمان : (ينظر الى سرحان) فيم ياسرحان ؟ أأنت شديد الوجد على ثامر ؟

سرحان : كيف لا وهو يقصد مولاى ابراهيم بسوء وقد كاد يودى بك ؟

نعمان : إنه قد ندم ياسرحان . . أما ترى دمعه يتحادر من عينيه ؟

سرحان : بل جبان يخاف الحكم عليه بما اجترحته يداه

نعمان : كلا ياصديقي . . إن ابن فهد ليس بمن يتهيب وجه الموت

سرحان : لقد شئته أن يبارزني بالسيف فإما أقتله أو يقتلني .

تامر : (ابراهيم باشا) مولاي . . ألا تحلّ قيدي ليبارزني سرحان

نعمان : تبا لك ياسرحان، أتريد أن تسيء إليّ ؟ أما تعلم أنك إن بارزته فستفجعني إما في صديقي أو في أخي ؟ إنك تبغي مراغمتي ياسرحان

سرحان : لا والله لا أبغي مراغمتك .

ابراهيم : حلّ ياسرحان وثاق أخيك فانكما أخوان

سرحان : سمعا يامولاي (يحل وثاق تامر)

ابراهيم : وأنت فصافحه ياتامر

تامر : سمعا ياأعفى الناس وأكرمهم . (يمد يده الى سرحان فيتصافحان) (لابراهيم باشا) شكرا يامعز العرب ومنقذهم، والله لأفتدينك ويفتدينك بنو النعمان جميعاً معي ونكوننّ جنداً نقاتل تحت لوائك من قاتلت وأني شئت الى أن نذوق الموت

ابراهيم : (يتهلل وجهه بشرا) بارك الله فيك ياتامر

(ينظر الى نعمان فيراه يبكي) مايبكيك يانعمان ؟

نعمان : سروري يامولاي

ابراهيم : استرح الآن . . أتم الله عليك الشفاء

نعمان : وأدام لمولاى النصر والتأييد

ابراهيم : (لسرحان وثامر) هلما معى . . . دعاه يستريح (يخرج الى البهو)

نعمان : (لثامر) أخى . . كن أمينا لمولاى ابراهيم

ثامر : اطمئن يا نعمان

نعمان : (لسرحان) والله ياسرحان ما فرحت كاليوم قطّ

سرحان : سيزيد فرحنا يا نعمان حين يتم شفاؤك

نعمان : أقبضت على القائد التركى ؟

سرحان : نعم

نعمان : كيف ؟

سرحان : سأقص عليك خبره فيما بعد . أما الآن فاسترح . (يخرج هو وثامر الى البهو)

نعمان : (لنفسه) نفّذت مشيئتك ياسرحان ... ونفّذ القدر مشيئته

(يدخل الطبيب الى نعمان فيجس جبينه ويصلح العطاء عليه)

الطبيب : أنت فى حاجة للراحة التامة فنم واسترح

(يغمض نعمان جفنيه ويخرج الطبيب من الغرفة ويغلق الباب على نعمان وينصرف لسبيله)

ابراهيم : (يشير الى سرحان وثامر وقد جلسا معا يتحدثان) انظروا الى هذين الخصمين كيف صارا صديقين حميمين

سيف : لا عجب يامولاى فقد جمعهما حبك

بشير : الحب الذى جمع العرب عليك

ابراهيم : (يلتفت الى رشيد باشا) ألا تعجب ياجناب الصدر الأعظم من حبهما لى وقد قتلت والد أحدهما ودمّرت بلاد الآخر إرضاء لسلطانك الناكر للجميل ؟

رشيد : إن ذكرت جناب السلطان اليوم بسوء فاربٌّ يوم كنت فيه ياجناب الباشا تقاتل معى تحت لوائه

ابراهيم : لعلك تشير إلى أيامنا فى ميادين اليونان . أما تزال تذكرها ؟

رشيد : كيف لا ؟ تلك أيام خالدة

ابراهيم : أيذكرها سلطانك أيضاً ؟

رشيد : ومن ينساها وينسى بلاءك فيها وإقدامك ؟

ابراهيم : كلا . . . بل نسيتم جميل أبى ونفستم عليه الفخار الذى حلاّكم به

رشيد : أؤكد لك ياجناب الباشا أن مولانا السلطان إن ساءه ماساءه من الباشا أبيك فإنه يقدر خدماتك قدرها ولا ينساها ابدا

ابراهيم : إنما أنا سيف أبى أيّده الله وقد سانى مرتين لإغاثتكم فى نجد وفى اليونان على أن يجزيه السلطان ولاية الشام ، فماذا كان جزاؤنا؟ كان جزاؤنا أن حمل العلماء على الإفتاء بتكفيرنا وإعدامنا تمهيدا بذلك لانتزاع مصر نفسها من أيدينا

رشيد : ليس ثم ما يبرر هذه المخاوف فلم يكن قطّ في نية مولانا السلطان أن ينتزع مصر من أيديكم

ابراهيم : (يخرج طومارا من جيبه) ما رأيك في هذا الفرمان الذي وجدناه في خيمة المشير حسين باشا الذي هزمناه قبلك؟
(يقدمه لرشيد باشا) اقرأه يا جناب الصدر الأعظم تجد سلطانك يجعل ولاية مصر لذاك القائد المهزوم

رشيد : (ينظر الى الفرمان متعجبا) إنه لم يصدر هذا إلاّ بعد أن خلعتم طاعته وخرجتم لقتاله

ابراهيم : ونحن لم نخرج لقتاله إلاّ بعد أن نصحناه وأنذرناه فلم يجد فيه النصح ولا الإنذار . ولعله بعد أن ألغينا الفرمان الأول كتب لك فرمانا جديدا بولاية مصر . ألا ترين يا جناب الصدر الأعظم هذا الفرمان؟

رشيد : إن مولانا السلطان انتدبني للدفاع عن حوزته فخرجت نزولا على طاعته لا طمعاً في وسام أو فرمان

ابراهيم : كان على السلطان أن يعطيك فرمانا بولاية مصر لتخلص في قتال صاحبها كما فعل مع حسين باشا . ولعله لو فعل ذلك لكنت نجحت في هزمنا

رشيد : سترى أن هزيمتنا إن هي إلا هزيمة مؤقتة وليس سببها ما ذكرت

ابراهيم : أتعنى أن لديك هذا الفرمان ؟

رشيد : نعم

ابراهيم : ألا ترينى إياه ياجناب الصدر الأعظم ولك عهد الله أن أعيده اليك

رشيد : ليس لأحد ياجناب الباشا أن يطالبنى بهذا فى موقف كهذا الموقف

ابراهيم : إنما أشفقنا على السلطان محمود مما أتعب به نفسه من كتابة الفرمانات التى لا تكاد ترحل عنه بضعة فراسخ حتى تلغى وحتى يستحى حاملها من إبرازها !

رشيد : كلا ياجناب الباشا، إن فرمان السلطان لتكرمة لحامله. فإن سرّك أن تراه فهاهو ذا لتعلم أنى لست أستحى من إبرازه كما ذكرت (يخرج الفرمان ويقدمه لابراهيم باشا)

ابراهيم : (ينظر فى الفرمان) ياله من فرمان عظيم .. لو نفذ . يعزّ علىّ والله أن أرى فرمانات السلطان تلغيها السيوف مرة بعد مرة ليت شعرى لمن سيكون الفرمان التالى ؟ (يعيده الى رشيد باشا)

رشيد : إن فرمان مولانا السلطان لا يضرّه أن يلغى مرة بعد مرة لأنه سينفذ فى النهاية

ابراهيم : لقد رثينا لسلطان المسلمين من تعبه وضننّا بكرامته ، فإن أبى إلاّ إتعاب نفسه وتعريض كرامته للهوان فليمض فى

ذلك وليثر لنا ما بقى فى كنانته . ولعله لن يجد فيها أمضى من المشير حسين باشا مبيد الانكشارية أو أقوى من الصدر الأعظم رشيد باشا بطل الأبطال فى حروب موره!

رشيد : إنك تذكر كرامة سلطان المسلمين ياجناب الباشا وأنت تعرف من عرضها للهوان الذى أشفقت عليها منه

ابراهيم : إن على سلطان المسلمين أن يحتفظ هو بكرامته بالعدل والإنصاف والوفاء بالعهود والمواثيق والنصح للمسلمين وليس له أن يطالب الناس بحفظها له اذا هو قصّر فيما يجب عليه

رشيد : الكلّ يعلم أن مولانا السلطان — أيده الله — لم يقصّر فى واجبه، فاقام بماقام به إلا خوفا من افتراق كلمة المسلمين

ابراهيم : هذا والله عجيب. ألكى يجمع كلمة المسلمين استنجد بدول الغرب على المسلمين ؟ إذاً فلينعم السلطان بالا ، إن الدول الأجنبية ستحميه من سطوة أبناء الإسلام !

رشيد : إنما أراد الصلح بذلك لحقن الدماء

ابراهيم : أبعد ألوف الجنود التى أفنيناها منكم؟ هلاّ كان ذلك منه وفيكم دماء تحقن بعد ؟

رشيد : إن قوات السلطان لم تبد بعد، وفى وسعه — لو شاء — مواصلة الحرب

ابراهيم : فعلام استنجد الدول الأجنبية إذن لتحميه منا؟

رشيد : إنما فعل ذلك لكى يحملكم على قبول الصلح

ابراهيم : أتخيفوننا من دول الغرب؟ ألا فاعلموا أننا لا نخاف أساطيلهم فى البحر ولا جيوشهم فى البر، وقد أريناهم فى اليونان كيف يقاتل أبناء وادى النيل. وبعد فإنى قد وقفت الزحف نزولا على أمر مولاى محمد على باشا صاحب مصر أيده الله . فإن شئت يازميلى القديم أقمت بيننا فى عزة وكرامة وإن اخترت الرجوع إلى بلادك ياجناب الصدر الأعظم شيّعت معك من يوصلك إلى مأمنك

رشيد : شكراً ياجناب الباشا. أما وقد خيرت فانى أختار الأمر الثانى

ابراهيم : إذاً فبلغ تحياتى لجناب السلطان وأخبره بأن الصلح سيعقد بيننا وبينه وسنرعاه ما رعاه ، فإن ينقض عهده فجنودى بالمرصاد ولن تقف الزحف حينئذ دون اسطنبول

(يلتفت الى عباس باشا) أليس كذلك ياعباس ؟

عباس : بلى ياعم . لن يصدنا عنها حينئذ حلفاؤهم الأجانب. إننا لم نكن فى يوم من الأيام بأقوى منا اليوم وقد هبّت أوطان العروبة قاطبة تحت العلم المصرى تسير إلى حيث يدعوها ماضيها المجيد

ابراهيم : (لرشيد باشا) ها أنت ياجناب الصدر الأعظم قد رأيت

بعينيك الروح العربية كيف سرت في البلاد . فلا تحاولوا أن تطفئوا بأفواهكم جذوة أوقدتها يمين الله!

(يلتفت إلى الآخرين) يابنى مصر والشام — يابنى العرب أترضون أن ترجعوا للذل ؟

الجميع : معاذالله ! معاذ الله!

سرحان : لأطيب من ذاك يامولاى الموت

بشير : إنّا قد خلعنا ذاك النّير عنا بكفّك يا بن محمد على باشا، أفنحمله فوق أعناقنا مرة أخرى؟

عباس : كلا .. دون هذا وتهدّ أسوار اسطنبول!

مصطفى بربر : (يهتف) يعيش ابراهيم باشا منقذ العرب!

الجميع : (ماعدا رشيد باشا) يعيش ابراهيم باشا منقذ العرب !

ابراهيم : (لرشيد باشا) أرجو ياجناب الصدر الأعظم أن تنصح رجال الحكم باسطنبول بأن يطردوا منذ اليوم من رؤوسهم فكرة استعباد بلاد العرب . قد أعتقها الرحمان فلن يستعبدها أجنبي بعد اليوم

سيف : هذا حلم نابليون تحقّق يامولاى!

ابراهيم : لا بل حلم ابراهيم وحلم العرب !

رشيد : قد لا يتحقق هذا الحلم غدا، فغد بيد الله ياجناب الباشا

ابراهيم : لا أجهل ياجناب الصدر الأعظم أن الغد بيدالله . ولكن

الله القوىّ العزيز قد ابتعث الروح العربية من رمسها فهى باقية لن تموت. واذا لم يتم على عهدى ما أردت من وحدتها العظمى فلسوف يحققها بعدى بطل من أحفادى

« ستار الختام »

تنبيه

يستحسن أن ينزل ستار الختام هنا مقرونا بصورة مكبرة لصاحب الجلالة الملك فاروق الأول — أيده الله — ويترك التصرف فى ذلك لخبرة المخرج

عمر المختار

أشخاص المسرحية

السيد عمر المختار . . . . . بطل المسرحية

ضرغام . . . . . شاب من المجاهدين

فاطمة . . . . . فتاة تبنّاها السيد عمر المختار

. . . . . وزوّجها لابن عمها ضرغام

المارشال بادوليو . . . . . حاكم طرابلس وبرقة

الفضيل بو عمر
يوسف بورحيل } . . . . . من قوّاد السيد عمر المختار

شخصيات ثانوية

السيد الحسن السنوسى . . . . . .

المستجوب الإيطالى . . . . . .

مجاهدون . . . . . .

ضباط طليان . . . . . .

الفصل الأول

لما ضاق موسوليني بأمر المجاهدين الطرابلسيين أعلن توحيد الإدارة في طرابلس وبرقة ، وعين الجنرال بادوليو حاكما عليهما فاستعمل هذا الشدة المتناهية للقضاء على السيد عمر المختار وجماعته الذين اتخذوا الجبل الأخضر مركزا لجهادهم الوطني . ولكن السيد عمر المختار قابل هذه الشدة بمثلها فوالى الغارات الليلية على معسكرات الطليان وتقطعهم بسالة لا نظير لها حتى أن المجاهدين كانوا يتخطفون الضباط الطليان من تقطعهم ويسوقونهم الى الجبل: ولما أخفق بادوليو في القضاء على الثورة بالشدة جنح الى المفاوضة ليقضي على السيد عمر من طريق اللين . ولم يسع السيد عمر الا إجابته لما طلب ليقيم بذلك الدليل العملي على حبه للسلم .

والمشهد الذي نحن فيه في محل يسمى (سيدي رحومه) كان المارشال بادوليو حضر اليه ومعه وكيل سيشليانى وكثير من الضباط الطليان وبعض مشايخ العرب الموالين للطليان — يقبل السيد عمر المختار ومعه المجاهد الفضيل بو عمر وهما على جواديهما

السيد عمر : (يترجل) السلام على من اتبع الهدى . صباح الخير يامارشال بادوليو

بادوليو : صباح الخير ياسيد عمر . أهلا وسهلا . إنك جئت اليوم وحدك على غير عادتك معنا

السيد عمر : أجل لأني بلوتكم فوجدتكم موضعاً للثقة فلا خوف عليّ من غدركم

بادوليو : (يضحك) ولكنك أخطأت هذه المرة ياسيد عمر

السيد عمر : أخشى أن تكون أنت الذى أخطأت يامارشال بادوليو

بادوليو : لا ينبغى لك أن تثق بنا مرة أخرى

السيد عمر : إن هذا الدرس الذى تتكرم بإلقائه علىّ قد تعلمناه من حكومتك منذ ثمانية عشر عاما

بادوليو : إنك فى قبضتنا الآن، فخير لكما أنت وصاحبك أن تلقيا سلاحكما

السيد عمر : (يضحك) بل أنت وجماعتك فى قبضتنا، ولا بأس أن تبقوا بسلاحكم فاننا لا نخافكم . إن الفرق الأربع التى أحطتنا بها غدراً ولؤما منك قد أحاطت بها فرق أربع من المجاهدين ستبيدها إذا تحركت قيد شبر . فمرها بالتفرق والإنصراف إذا شئت سلامتهم وسلامتك ومن معك

بادوليو : إذاً فقد غدرت بنا ياسيد عمر وأنتم تفخرون بأنكم لا تغدرون

السيد عمر : كلا لم نغدر بك وليس من شيمتنا الغدر . وإنما منعناك من الغدر لتتم المفاوضة التى دعوتنا اليها

بادوليو : والآن ماذا تريد منى ؟

السيد عمر : أن تبعث أحد ضباطك ليفرق جنودك الذين أحطتنا بهم ويأمرهم أن يلقوا أسلحتهم لجنودنا المجاهدين

بادوليو : وما يضمن لى أن جنودك لا يسوقون جنودنا أسرى الى الجبل ؟ ونحن هنا ما يضمن لنا سلامتنا ؟

السيد عمر : كلمتى هى الضمان وليس لك أن تطلب ضمانا غيرها

(يأمر بادوليو أحد ضباطه بالذهاب لتفريق الجنود كما أمر السيد عمر)

السيد عمر : اذهب يافضيل فمر المجاهدين بأن يخلوا سبيلهم بعد أخذ الأسلحة التى معهم ثم عد الينا وعشرة معك

الفضيل : سمعا ياسيدى (ينطلق الفضيل والضابط الايطالى)

السيد عمر : هيّا بنا نبدأ المفاوضة يامارشال بادوليو — تفضلوا بالجلوس . ها هى ذى المقاعد قد أعدّت لنا

بادوليو : ألا ننتظر حتى نرى ما يكون من جنودنا وجنودكم ؟

السيد عمر : (يضحك) لقد أصدرنا اليهم أمرنا ، ولا بد أنهم الآن قد أطاعوه فرجع جنودك خفاف الظهور وانصرف جنودنا مثقلين بأسلحتهم وأسلحة غيرهم — أعانهم الله !

بادوليو : إنلى الحق فى أن أتأكد من انصراف جنودك ،لأن المفاوضة يجب أن تتم فى جوّ حرّ لاضغط فيه على أحد الجانبين

السيد عمر : إنك تعلم أننى أنا الذى حمى هذا الجو الحر للمفاوضة وسأحميه كذلك إلى النهاية . وأنا مالك الموقف على كل حال ، وفى استطاعتى أن أسوقك ورجالك أسرى الى الجبل ، ولا لوم علىّ فى ذلك لأنك أنت الذى بدأت بالغدر ونقض العهد. ولعلك ايضاً غير ملوم يامارشال بادوليو ، فالطليان كانوا ولا يزالون أمة الغدر ونقض العهود . ولكن ثق أننا

لن نجزيك على فعلتك فلا تخش أن نوقع بك ما تستحقه بعد أن أمنّاك للمفاوضة معنا، لتعلم أننا حريصون على ماندعوتنا إليه من المسالمة والمفاوضة . واعلم أن قتل مثلك لايفيدنا شيئا وبقاء مثلك لايضرنا شيئا . والله لو أن سيّدك الدوتشي نفسه وقع فى قبضتنا بدلا منك فى مثل هذا الظرف لما حدثتنا نفوسنا بالقبض عليه ما دام يدّعى أنه يريد مفاوضتنا حتى ينتهى ما بيننا وبينه من الهدنة

(يعود المجاهد الفضيل وعشرة من المجاهدين معه والضابط الايطالى)

السيد عمر : هل امتثل الجنود أوامرنا وأوامر المارشال بادوليو يافضيل؟

الفضيل : نعم

السيد عمر : أحسنتم، تفضلوا خذوا مقاعدكم . أاطمأن الآن فؤادك يامارشال بادوليو ؟ فقد بقى المجاهدون بعيداً عنا وعنك ليحرسونا ويحرسوك حتى يتم اجتماعنا

بادوليو : انى واثق بشرفك ياسيد عمر ، وإنى لذلك طامع فى أن ننتهى على شىء فيه مصلحتنا ومصلحتكم ومصلحة البلاد

السيد عمر : هذا هو الدافع نفسه الذى جعلنا نجيبك إلى طلبك بالرغم مما بدا لنا من سوء نيتكم وعدم صراحتكم

بادوليو : سنكون من اليوم فصاعدا صرحاء معك . ألا ترى معى ياجناب السيد عمر أن لاداعى إلى هذه الحروب التى أهلكت الحرث والنسل وأوقعت البلاد فى الفقر والخراب

السيد عمر : هذا السؤال يجب أن يوجه اليكم أنتم ، وعليكم وحدكم أن تجيبوا عليه . إن البلاد التى تذكرها هى بلادنا نحن العرب وأنتم الذين جئتم من بلادكم لتنتزعوا أراضينا من أيدينا ، ثم لم تكتفوا بذلك حتى أردتم القضاء على ديننا ولغتنا وشرفنا . فماذا كنتم تصنعون أنتم لو جاءت أمة اليكم لتصنع بكم ما تصنعون بنا ، أتسالمونها أم تحاربونها ؟

بادوليو : إن هذا يجرنا إلى كلام طويل فى تاريخ استعمار الأمم القوية للأمم الضعيفة ، وإن الحرب بيننا قائمة فعلينا أن نبحث فى معالجة الحالة الراهنة لا فى ذكر أسبابها الماضية

السيد عمر : أجل ، إن الحرب بيننا قائمة ، ونحن لم نشك اليكم من طولها وسنمضى فى جهادنا إلى النهاية . وانما أنتم الذين دعوتم إلى المفاوضة فأجبناكم إلى طلبكم . ونحن على أقوى ما يكون من الحال . وأحب أن أذكرك قبل كل شىء أن المفاوضة يجب أن تكون مع قوم يحاربون بشرف ، يسالمون بشرف

بادوليو : إننا ما زلنا نحارب بكم بشرف

السيد عمر : يسوءنى جداً أن أقول إننا نحارب منكم خصوما غير شرفاء بل ليست فيهم ذرة من الشرف

بادوليو : إننى لا أحتمل منك هذا التعبير ياسيد عمر

السيد عمر : لا يهمنى يامارشال بادوليو أن تحتمل هذا أو لا تحتمله .

إن أعمالكم في هذه البلاد ناطقة بخلوكم من المروءة والشرف.
لا أريد أن أحاسبكم على مافعلتم بالمحاربين أو أسرى الحرب
الذين يقعون في أيديكم كيف تعاملونهم بنذالة ولؤم ، فإن
حسابا كهذا أعلى من أن يطالب به قوم مثلكم . وإنما
أحاسبكم على مافعلتم بالعرب المسالمين لكم ، فقل لي يامارشال
بادوليو أمن الشرف ما فعله (مزيتي) بقبيلة العبيدات
المسالمين لكم كيف جردهم من كل ما يمتلكون حتى انتزع
حلى النساء من آذانهن ؟ أمن المروءة مافعله (لوبيلو) مع
عائلة ابراهيم العواقير وهم مسالمون أيضاً حيث أخذ منهم
أربعين رجلا وقتلهم بالرصاص وأمر بالسيارات أن تمر
عليهم فمازالت تدهسهم ذهابا وإيابا حتى اختلطوا بالتراب؟
أمن الشهامة أن تاقوا بالمسلمين من علو أربعمائة متر من
طائراتكم وتقولوا لهم « دعو نبيكم البدوي ينقذكم »؟ . أمن
الشرف يابادوليو أن تعتدوا على أعراض نساء المسالمين
لكم وتأتوا من ذلك ما يرفض له جبين الشرف خجلا ؟ إن
لكم أن تدّعوا كل شيء الا شيئاً واحداً هو الشرف

بادوليو : أظنك توافقني ياجناب السيد عمر أننا لم نجتمع لنقدم حسابا
عما كان منا ومنكم ، وإنما أردنا أن نضع حداً تنتهي إليه
الحروب التي منعت البلاد من العمران الذي جئنا من أجله

ولولا هذه الحروب لرأيت بلادك فى حالة أخرى لم تكن تخطر على بالك

السيد عمر : صحيح أن البلاد كانت تكون فى حالة أخرى لولا هذه الحروب ، ولولا هذه الحروب أيضا لما رأيت فيها اليوم عربيا يمشى على وجه هذه الأرض ولرأيت فيها إيطاليين يسكنونها ويعمرون دور الوطنيين

بادوليو : أنا لم أقصد هذا ، وأنما أردت العمران وكثرة المزروعات وتشجيع الصناعة والتجارة . وإنى أوءمل ألاّ تنتهى هذه الجلسة حتى نتفق على ما فيه خير البلاد

السيد عمر : إن حكومتك قد اتفقت مع الطرابلسيين وتعهدت لهم بشروط ، ولكنها لم تف لهم بشىء منها . فإن كان مصير هذه الهدنة مصير سابقاتها فاللهم لاخير لنا فيها

بادوليو : كلا لن يكون مصير هذه الهدنة مصير سابقاتها إذا توفر حسن النية منا ومنكم

السيد عمر : لقد أمليت شروطنا وسلّمتها لوكيلك الجنرال سيشلياني فى الجلسة السابقة، فهل لديك اعتراض عليها ؟

بادوليو : ألم تجروا أىّ تعديل فى تلك الشروط ؟

السيد عمر : كلا ، إن شروطنا ليست مكتوبة على الورق فحسب ، بل هى منقوشة فى قلوبنا جميعا ، فإذا سألت أى واحد من

رجالى هؤلاء فسيمليها عليك كما أمليتها دون أن يخرم منها حرفا

بادوليو : سيكون لك ماتريد فقد أرسلت هذه الشروط إلى حكومتى فوافقت مبدئيا على أهم فيها . وإنى مستعد لتوقيعها إلا أنى أشترط أن يكون ذلك فى بنغازى

السيد عمر : لا أرى أىّ معنى لهذا الإشتراط ، على أنه لا مانع عندى من ذلك فليذهب السيد حسن بن الرضا السنوسى لينوب عنى فى توقيعها

بادوليو : لو وقّعتها أنت بنفسك كان ذلك أفضل

السيد عمر : ما أنا إلا فرد من المجاهدين ، وإن أىّ واحد منهم يجزىء عنهم ما دام يعمل لصالحهم ، فإذا خان إخوانه المسلمين فليس حينئذ منهم فلا يلزمنا توقيعه . إن الديمقراطية هى جزء من حياة العرب لا يستطيعون أن يعيشوا بدونها وأساس من أسس الإسلام لا يمكن الإخلال به

بادوليو : أمّا إذا اخترت السيد الحسن السنوسى لتوقيعها فليكن ما أردت

السيد عمر : (للحسن) إنك تحفظ الشروط يابنىّ فوقّعها هناك بالنيابة عنى وعن إخوانك المجاهدين

الحسن : سأفعل ياسيدى المختار

(ينصرف المرشال بادوليو وجماعته ومعهم السيد الحسن السنوسى)

الفضيل : لا أكتمك يا سيدى أن فى نفسى شيئا من هذا الشاب ، وأخشى أن يستميله الطليان إليهم فيوقّع لهم على شروط غير شروطنا

السيد عمر : إنى أشاركك فى هذا الرأى يا فضيل ، بل أكاد أجزم بأنهم سيمنون الحسن بالباطل فينخدع لهم . ولكن دعهم يفعلوا ودعه يقبل عرضهم ليتلقوا بعد ذلك درساً يتيقنون به أن انحيازهم إلى أى خائن مهما كان نسبه ومنزلته فينا ليتخذوه مطية لهم ضد الأمة لن ينفعهم شيئا ولن يؤثر فى مركز الأمة المجاهدة . وقصارى ما تفعل أنها تتبرأ منه وتنبذه نبذ النواة

الفضيل : ما أبعد نظرك ياشيخى وأسد حكمك . والله لا أعارضك بعد اليوم أبداً

السيد عمر : كلا لا تفعل فلا غنى لى عن مشورتكم واعتراضكم . هيّا بنا إلى الجبل

الفضيل : هيّا بنا

(يمضى السيد عمر وجماعته وهو يترنم بنشيدهم)

كيف نخضـــع للطليانْ أمة الغـــدر والنهبِ ؟
كيف يملكنا العُبـدانْ نحنُ أحرارَ العُـربِ ؟
دون ذاك الموتُ الزؤامْ دون ذاك الحربُ الزبونْ

حتى تشهد الأقوامْ أننا لا نخشى المنون
إن نُمت متنا شُهَدا أو نعش عشنا أحرارْ !
الرّدى ما أحلى الردى واقياً من حياة العارْ !
الجبال ميادينا ومعاقلنا الباتراتْ !
والجراح نياشيننا فوق أكتافنا لامعاتْ !
لو تحاربنا الدنيا كلها لا نباليها
بسوى العز لا نحيا أبداً بين أهليها

الفصل الثانى

بعد مضى سنتين من حوادث الفصل الأول

المشهد الأول

فى بيت السيد عمر المختار بالجبل الأخضر — بعد صلاة المغرب — يجلس الزوجان ضرغام وفاطمة بفناء البيت بينما كان السيد عمر المختار فى مصلاه يتلو القرآن كعادته

فاطمة : تعال ياضرغام فاجلس هنيهة معى

ضرغام : حبّا يابنت عمى وكرامة

فاطمة : أما تذكّرك هذه الليلة بشىء ؟

ضرغام : ماذا تعنين يافاطمة ؟

فاطمة : لقد مرّ على زواجنا الليلة عامان ياضرغام

ضرغام : عامان !

فاطمة : نعم فى مثل هذه الليلة زوّجنا سيدنا ووالدنا السيد عمر المختار

ضرغام : صدقت يافاطمة ، إنك لجيّدة الذاكرة

فاطمة : من ذا ينسى تلك الليلة السعيدة ؟

ضرغام : أجل ، حيث امتلأ هذا الفناء بالمجاهدين من كل صوب فأخذوا يأكلون ويشربون ويترنمون بأغانيهم الرقيقة حينا

والخماسية حينا وسيدنا المختار يطوف عليهم ضاحكا مستبشرا يرحب بهم ويلاطفهم ولا يبخل عليهم بالنكتة بعد النكتة يطرفهم بها

فاطمة : يخيّل لى أن أبى يرحمه الله — لو عاش لما فرح بليلة زواجى ما فرح السيد عمر المختار

ضرغام : أجل ، إنه يعاملنا معاملة الأب الشفوق . ولو رأيته يافاطمة وهو يدفع بى فى المعارك حينا ويقينى بنفسه حينا لرأيت كيف يربى الأسد الهصور شبله العزيز عليه

فاطمة : إننى والله لا أدرى كيف أقوم بشكر هذا البطل الذى تبنّانى ورعانى وفتح لى بابه وصدره

ضرغام : وأطلقنى من ذل الأسر ليجمع شملى بشملك ويجعلنى رجلا أجاهد معه أعداء الله وأعداء الوطن حتى ألقى الله عز وجل. صدقينى يافاطمة أننى لم أذق لذة الحياة إلا فى كنف هذا الشيخ المجاهد . إنك تعلمين مقدار حبى لك وأنى اذا ودّعتك صباحاً لا أطمع فى رؤيتك مساء وإذا ودّعتك مساء لا أطمع فى لقائك صباحاً ولكنى مع ذلك سعيد

فاطمة : أما أنا ياضرغام فإنى أموت وأحيا مرتين كل يوم . أموت عند ما تخرجان للقتال خوفا عليكما ، وأحيا عند ما أراكما أنت وسيدى المختار عائدين سالمين . ولا أدرى ياضرغام متى ينتهى هذا الحال ؟

ضرغام : سينتهى هذا الحال ياحبيبتى بالنصر أو بالجنة !

فاطمة : إنى والله لأشفق على سيدنا الشيخ وهو يقاتل ليلا ونهاراً صابرا محتسبا لله وقد بلغ من الكبر عتيا وماتت زوجته العزيزة عليه فلم يجد ساعة يذرف فيها دموعه عليها

ضرغام : أعانه الله وقوّاه . لئن وهن جسمه فما وهن عزمه . وقد ظللت زمنا أرصد هذا الرجل لعلى أرى وهنا يدرك عزمه أو يأساً يتسرب إلى قلبه فى أحلك الساعات، فما وجدت شيئاً من ذلك . غير أنه جزع ثلاث مرات : يوم واقعة (كرسّة) حيث استشهد ذلك المجاهد العظيم الفضيل بوعمر . ويوم نقل الطليان العرب من حوالى الجبل الأخضر وهم ثمانون الفاً الى (العقيلة) حيث يموتون بالجوع والمرض ليفصلوهم عن المجاهدين حتى يبقى المجاهدون فى عزلة تامة. والثالثة يوم احتلوا (الكفرة) معقل السادة السنوسية وارتكبوا فى أهلها الفظائع التى تقشعر من هولها الأبدان

فاطمة : إى والله فهو يحترم السادة السنوسية احتراما عظيما

ضرغام : أتذكرين يوم نقض طاعته السيد الحسن السنوسى ووقّع على شروط الطليان المهينة بدلا من الشروط التى كتبها السيد عمر وانتحى الحسن جانبا منه يحرّض الناس على الخروج عليه والولاء للطليان : فقد أشار عامة المجاهدين

حينئذ على السيد عمر بقتله أو طرده من البقعة التى كان فيها فأبى السيد عمر حتى يئس الطليان من نجاح الحسن فساقوه ذليلا مهينا إلى بنغازى وتفرق عنه جيشه الذى كان المجاهدون يدعونه (جيش الدقيق)

فاطمة : نعم رأيت السيد عمر يبكى ذلك اليوم رثاء للسيد الحسن

ضرغام : هذا سواد شخص مقبل يافاطمة

فاطمة : يظهر لى أنه المجاهد يوسف بورحيل

ضرغام : لا بد أن أمراً هاما جاء به فى هذه الساعة التى يخلو فيها السيد عمر لتلاوة القرآن (يقبل يوسف بورحيل)

يوسف بورحيل: السلام عليكم ورحمة الله

ضرغام : وعليك السلام ورحمة الله

يوسف بورحيل: ضرغام وفاطمة . . كيف حالكما ياولدىّ ؟

فاطمة : بنعمة الله ياعمّاه

يوسف بورحيل: أدام الله لكما السعادة . أين سيدنا الشيخ ؟

فاطمة : فى مصلاه

يوسف بورحيل: استأذنى لى على أبيك يافاطمة

فاطمة : مرحبا بك . . سأستأذن لك عليه (تدخل فاطمة)

ضرغام : هل من نبأ جديد ياعم ؟

يوسف بورحيل: سأخبرك به فيما بعد

(تعود فاطمة)

فاطمة : يقول أبى السيد تفضّل

يوسف بورحيل: شكرا لك (يدخل بورحيل)

فاطمة : ترى ما تضمر لنا هذه الليلة من الحوادث . لا أكتمك ياضرغام أنى أحس بقلق لم أشعر بمثله قط من قبل

ضرغام : هدئى روعك ياحبيبتى . إنما بك وحم الحمل . هذا الجنين الذى يضطرب فى أحشائك يأبى إلا أن يوذيك ليشعرنا بأنه قادم إلى هذا العالم كى نستعد له ونحتفل به

فاطمة : (تبكى)

ضرغام : ماذا يبكيك يافاطمة ؟

فاطمة : (تستمر فى بكائها)

ضرغام : وحق أبيك المختار قولى لى فيم تبكين ؟

فاطمة : أخشى ياضرغام أن لاترى هذا القادم الصغير !

ضرغام : قولى خيراً من هذا يافاطمة . بل سأراه وأفرح به إن شاء الله . وإذا كتب الله لى الشهادة قبل أن تراه عينى فستراه عين أبيك البطل ، وهو ياحبيبتى خير له منى

(يخرج المجاهد يوسف بورحيل من مصلى السيد عمر المختار)

يوسف بورحيل: هل لى أن أقول لك كلمة ياضرغام ؟

(ينفردان ناحية وتتوارى فاطمة)

يوسف بورحيل: اسمع يابنى . قد بلغنا أن الطليان يجادون فى البحث عن سيدنا الشيخ للقبض عليه ، وهم يعلمون أنه يخرج بنفسه

لاستكشاف مواقع العدو ليلا كعادته . وقد ناشدته الليلة أن ينقطع عن هذا العمل ويكله إلينا لنقوم به دونه فلم يقبل وأصر على الخروج كعادته . وهو الليلة خارج إلى ناحية « سلنطة » ليرى مواقع العدو بها تمهيدا لغارة يشنها عليهم . فعرضت عليه أن أحميه فلم يقبل وكلفني بمهمة أخرى . وإني لا أثق بأحد غيرك ياضرغام فالزمه ولا تفترق عنه بحال من الأحوال

ضرغام : سأفعل ياعم . والله لا يصلون اليه حتى أقتل دونه

يوسف بورحيل: ذاك الظن بك يابني . إلى اللقاء غداً إن شاء الله . . أستودع الله دينك وإيمانك

ضرغام : أستودع الله دينك وإيمانك . . إلى اللقاء

المشهد الثانى

نفذ قضاء الله ووقع البطل العظيم السيد عمر المختار فى أسر الطليان بعد أن قتل جواده وجرح هو واستشهد المجاهد الشاب طرغام وكثير من المجاهدين — فحمل السيد عمر فى طيارة إلى (سوسه) ثم أركب البحر إلى بنغازى

والمشهد الذى نحن فيه فى دار مجلس النواب فى بنغازى وقد اكتملت الهيئة العسكرية لمحاكمة البطل الأسير . وأحضر السيد عمر المختار من سجنه يرسف فى قيوده وعليه جلال المشيب حتى أوقف فى قفص الاتهام . ثم نودى عليه وبوشر فى استجوابه

المستجوب: ما اسمك ؟

السيد عمر : عمر المختار

المستجوب: ماتاريخ ميلادك؟

السيد عمر : سنة ١٢٧٧ هجرية

المستجوب: فى أى سنة ميلادية ؟

السيد عمر : هذا شأنك أنت فاحسب إذا شئت

المستجوب: عمرك الآن ثلاث وسبعون سنة ؟

السيد عمر : نعم

المستجوب: فى أى بلد ولدت ؟

السيد عمر : فى البلاد التى يريد الطليان أن يخرجوا أهلها العرب منها ؛

فى برقة

المستجوب: هل أنت رئيس الثوار ضد إيطاليا ؟

السيد عمر : نعم أنا رئيس المجاهدين ضدها

المستجوب: هل حاربت الدولة ؟

السيد عمر : نعم حاربت الدولة المعتدية على بلادى

المستجوب: هل أمرت بقتالها ؟

السيد عمر : نعم لأن دينى يأمرنى بقتال المعتدين

المستجوب: هل اشتركت فى القتال اشتراكا فعلياً ؟

السيد عمر : سلوا الناجين من ضباطكم وقوادكم وفلول جيشكم يخبروكم أننى لست ممن يأمر بشىء ولا يشترك فيه

المستجوب: كم عدد المعارك التى خضت غمارها ضد الدولة ؟

السيد عمر : سلوا الجنرال جرازيانى يخبركم أن المعارك التى دارت بينى وبين جنوده فى مدة عشرين شهراً يبلغ عـــددها مائتين وثلاثا وستين معركة . أما ماقبلها من المعارك فى مدة عشرين سنة فلا أستطيع إحصاءها إلا إذا أحصيت فظائعكم ومخازيكم فى هذا الوطن

المستجوب: كيف كنت تعامل الأسرى الايطاليين ؟

السيد عمر : سلوا من أطلقنا منهم فى الهدنة يخبروكم أن العرب المجاهدين كانوا يؤثرونهم على أنفسهم فى المأكل والمشرب. وخير لكم أن تسألوا أنفسكم كيف كنتم تعاملون أسرى العرب

المستجوب: هل أمرت بتحصيل الاعشار من الأهالى ؟

السيد عمر : نعم للقيام بنفقات الجهاد فى سبيل وطنهم ودينهم

المستجوب: هل كنت بهذه الطريقة تبتز أموال الأهالى ؟

السيد عمر : ان دولتكم التى عرضت على مليون فرنك هدية منها لى ومعاشاً شهرياً قدره خمسون الف فرنك فرفضتهما هى التى ابتزت أموال البلاد وصادرت أملاك أبنائها

أصوات : كفى استجواباً ! قروا عليه حكم الإعدام

الرئيس : قد ثبتت إدانتك وحكمت عليك المحكمة بالإعدام

السيد عمر : الحمد لله هذا ما كنت أتوقعه من دولة لا تعرف الشرف العسكرى ، ولوكنت أمام أمة أخرى غيركم لرجوت أن تعاملنى معـــاملة أقل لؤماً من هذه كما عومل الأمير عبد القادر الجزائرى وأحمد عرابى باشا المصرى والأمير عبد الكريم المراكشى

الرئيس : أى ميتة تختار لتنفيذ حكم الإعدام عليك ؟

السيد عمر : أشكركم على هذا الكرم . ان كان لى الخيار فأنى أؤثر أن تلقونى من علو اربعمائة متر من إحدى طائراتكم وتقولوا لى دع نبيك البدوى ينقذك

الرئيس : يؤسفنا أن لانجيبك إلى طلبك هذا ولكن ستعدم شنقاً

السيد عمر : هذا أشبه بكم وأخلق بشهامتكم

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان لله مصرعى

الرئيس : هل لديك ماتقول فوق ماتقدم؟

السيد عمر : نعم ، رسالة صغيرة تحملونها عنى إلى زعيمكم الدوتشى

الرئيس : قلها ماهى؟

السيد عمر : إن الدوتشى يحلم باعادة الأمبراطورية الرومانية ، فقولوا له إن الطليان غير الرومان ، فإن كان جاداً فيما يريد فليلتمس له أمة غير الطليان جديرة بتحقيق حلمه العظيم !

الرئيس : ولكن الدوتشى الذى تذكره هو من صميم الطليان

السيد عمر : فقولوا له إذن انه لاخير فيه لنفسه ولا لأمته !

الرئيس : اتقول هذا وانت تساق إلى الإعدام؟

السيد عمر : تستطيعون إعدام شيخ طاعن فى السن مثلى ، ولكنكم لن تستطيعوا إعدام الروح التى يتجدد شبابها بتجدد الأيام

فارس البطحاء

ابو محجن الثقفي

أشخاص المسرحية

أبو محجن الثقفي . . . . . فارس البلقاء

سعد بن أبي وقاص . . . . . أمير الجيش والقائد العام

خالد بن عرفطة . . . . . نائب القائد العام

القعقاع بن عمرو . . . . . .

المغيرة بن شعبة . . . . . .

سلمى بنت أبي خصفة . . . . . زوج سعد (يسمع صوتها)

غلمان لسعد يقومون على خدمته . . . . . .

الفصل الأول

فى القادسية فى موضع بين العتيق وبين الخندق ، حيث دارت معارك القادسية بين فارس والمسلمين — فى يوم أغواث وهو اليوم الثانى من أيام القادسية ، يقف المسلمون أمام قصر قديس وهو حصن كان للفرس هناك ، اتخذه سعد ابن أبى وقاص مقاماً له لمرضه بعرق النسا والدماميل ، وعجزه بذلك عن الحركة فضلا عن الركوب والخروج إلى ساحة القتال . فبقى سعد بالقصر يدير دفة القتال من شرفة القصر الدنيا ، حيث يطل على الميدان وهو مكب على وجهه وعلى صدره الوسائد من علته وضعفه. وقد اختار خالد بن عرفطة العذرى ليقوم مقامه فى مباشرة القيادة العامة ، وأمره بالوقوف تحت القصر ، قريباً من سعد ، وسعد يصدر إليه أوامره فينفذها خالد ويبلغها القواد بواسطة مبلغين أقامهم صفوفا ثلاثة فى اتجاهات مختلفة أحدها إلى الميمنة ، والثانى إلى القلب ، والثالث إلى الميسرة ، فكان هؤلاء اداة الاتصال بين القواد فى مقدم الصفوف وبين القائد العام . وكان المسلمون قد لقوا فى اليوم الأول وهو يوم أرماث بلاء كبيرا من العدو ، وكادت الدائرة تدور عليهم ، لو لم ينجح جماعة من أبطالهم فى قطع وضن فيلة العدو وتعطيلها بذلك عن العمل .

يظهر على المسرح الجزء الأمامى من قصر قديس وهو حصن قليل المناعة مدور البناء ، له شرفة مدورة مثله ، تتصل بها عن يمين المسرح غرفة تقيم بها سلمى بنت أبى حصفة زوجة سعد ، وتحت هذه الغرفة محبس يسجن فيه أصحاب التبعات . وله شباك من الحديد يشرف على ميدان القتال

يرى سعد على سريره فى الشرفة ، مكبا على وجهه ، معتمدا بيديه على حافة الشرفة ، مطلا على ساحة القتال ، وعنده ثلاثة من غلمانه يتولون شأنه ، ويقومون بخدمته . ويرى خالد بن عرفطة واقفاً على مصطبة تحت القصر تدور حيث دار القصر . وأمامه ثلاثة من الرجال هم أوائل الصفوف الثلاثة المبلغين

سعد : (لأحد غلمانه) انزل ياغلام فأوصل القعقاع بن عمرو الىّ

الغلام : سمعاً يامولاى (ينطلق موجها الى يسار الشرفة حيث يغيب)

سعد : (يرفع بصره إلى السماء) اللهم هذه فارس قد خرجت بجموعها وفرسانها فان لم تنصرنا اليوم عليها هلك المسلمون ! اللهم انصر المسلمين وثبّت أقدامهم ! اللهم فأنجز لنا وعدك !

(يعود الغلام ومعه القعقاع بن عمرو)

القعقاع : السلام عليك ياأمير الجيش

سعد : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . . اهلا بك ياقعقاع . . اعذرنى إذ لم أقم إكراماً لك ، فإنى كما ترى عليل لا استطيع الحركة

القعقاع : (يصافح سعدا) لا بأس عليك ياسعد . أبشّرك بستة آلاف قادمين على اثرى مددا لك

سعد : مرحبا بكم . . لقد جئتمونا أحوج مانكون اليكم. فكيف تركت إخواننا بالشام ؟

القعقاع : تركتهم وقد دخلوا دمشق

سعد : أوقد فتح الله دمشق للمسلمين ؟

القعقاع : نعم وهم ماضون لفتح سائر بلاد الشام

سعد : الحمد لله وحده صدق وعده !

(لخالد بن عرفطة تحت القصر) ياخالد بشّر المسلمين بأن الله قد فتح لإخوانهم دمشق وهزم الروم .

خالد : يامعاشر المسلمين : أبشروا فقد فتح الله لإخوانكم دمشق وهزم الروم !

المبلغون : يامعاشر المسلمين : أبشروا فقد فتح الله لإخوانكم دمشق وهزم الروم !

أصوات الجموع: الله اكبر ! الله أكبر !

سعد : (القعقاع) إنى لأرجو أن يهزم الله لنا هذا العدوّ الأشد كما هزم اولئك :

القعقاع : إن شاء الله .

سعد : أين أميركم خالد بن الوليد ؟

القعقاع : قد استبقاه أبو عبيدة عنده بالشام .

سعد : ألم يأمره أمير المؤمنين بارسال خالد الينا ؟

القعقاع : ورد عليه كتاب أمير المؤمنين بارسال الجيش العراقىّ مدداً لك ولم يذكر فيه خالداً بالتعيين ، فرأى أبو عبيدة استبقاءه عنده لقتال الروم .

سعد : غفر الله لأبى عبيدة : هلا أمدنا بسيف الله فنحن أحوج اليه منهم . لقد لقينا من هؤلاء وفيلتهم أمس بلاء كبيرا . فلمن عقد إمارتكم ؟

القعقاع : لليث عاديا . . . لابن أخيك هاشم بن عتبة .

سعد : نعم ابن الأخ هو . ولكن أين هاشم من سيف الله ؟ لقد نظر أبو عبيدة لنفسه إذ ضنّ بخالد علىّ

القعقاع : أما إنك لو شهدت بلاء ابن أخيك فى قتال الروم لسرّك أن تراه ولو كان بعين واحدة !

سعد : أوقد أصيب فى عينه ؟

القعقاع : نعم ، ففقئت عينه يوم اليرموك .

سعد : فى سبيل الله ما لقيت عينه ! عوّضه الله خيراً منها ! متى يقدم هاشم ؟

القعقاع : ما إخاله يصل الينا بمعظم الجيش قبل صباح الغد . فقد سرّحنى قبله فى ألف أمرتهم فتقطّعوا أعشاراً كلما بلغ عشرة منهم مدى البصر سرّحوا فى آثارهم عشرة . وها أنذا جئتك فى العشرة الاولى

سعد : أأردت بهذا تنشيط المسلمين ؟

القعقاع : إى والله وإرهاب العدو

سعد : لله درك ياقعقاع . والله إنى لبقدومك أفرح منى بقدوم ابن أخى . رحم الله أبا بكر . لقد قال فيك قولا تحسد عليه إلى الأبد : صوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل ، لا يهزم جيش فيهم القعقاع

القعقاع : لعل الله يجعلنى جديراً بثناء خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(يلتفت إلى جنود المسلمين فى الميدان) ما لهؤلاء وقوفا ؟ ألا يبتدئون القتال ؟

سعد : إنهم قد سوّوا صفوفهم ، وأمرت الشعراء والخطباء أن يحرضوهم على الثبات وصدق اللقاء ، ويذكروهم بايام الله وأيام العرب ، وهم ينتظرون التكبيرة الثالثة وتلك جيوش العدو ما تزال ترد كراديسها وتتثال جموعها .

القعقاع : سنجعلها لسيوفنا جزرا إن شاء الله . فأين فيلتهم ؟

سعد : لعلهم لا يقاتلوننا بها اليوم ، فقد قطع المسلمون وضنها أمس .

القعقاع : أما والله لئن عاد بها رستم اليوم لأجعلنّ للمسلمين منها مخرجا ، ثم لأزعجنّ خيوله بفيلة العرب !

سعد : وما فيلة العرب ويحك ؟

القعقاع : الإبل نجللها ونبرقعها بالسواد !

سعد : لله أبوك : قد عرفتك ذا بسالة فى الحرب ، فاذا أنت أيضا ذو حيلة فيها وكيد . عمن تلقيت هذا ويحك ؟

القعقاع : عن خالد بن الوليد تلقيت ، ومن بحره استقيت

سعد : إنه البحر لا تكدّره الدلاء

القعقاع : أفلا تأذن لى فى الخروج إلى الناس ؟

سعد : أجل قد حبستك عنهم ، فاخرج مباركاً للمسلمين فيك

(يخرج القعقاع من حيث دخل)

صوت فى الميدان : ايها الناس : احمدوا الله على ما هداكم وأبلاكم يزدكم ، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم ، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر ، والفلوات التى لا يقطعها الأدلة

سعد : (لخالد) من هذا يا خالد ؟

خالد : هذا قيس بن هبيرة الاسدىّ

سعد : ما أحسن ما قال !

صوت آخر : أيها المسلمون : صدقوا قولكم بفعل . فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحّدتموه ، وآمنتم بنبيه ورسله فلا تموتُنّ إلاّ وانتم مسلمون . ولا يكونن شيء أهون عليكم من الدنيا ، فإنها تأتى من تهاون بها ، ولا تميلوا اليها فتهرب منكم . انصُروا الله ينصركم !

سعد : من هذا ؟

خالد : هذا بُسر بن أبى رُهم الجُهَنىّ

سعد : أحسن والله القول

صوت آخر : يامعاشر العرب : إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان القوم ودهاقينهم. وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونُنّ على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم . لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون به غداً شَيْناً على العرب !

سعد : أهذا عاصم بن عمرو !

خالد : اجلْ .

سعد : لافضّ فوه !

صوت آخر : يامعاشر العرب : قاتلوا للدين والدنيا ، وسارعوا الى

مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . وإن عظيم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الأخبار عنكم غداً بالمواسم ما دام للأخبار أهل :

سعد : ما أبلغه : من هذا ؟

خالد : هذا ربيع بن البلاد السَّعْدى .

صوت آخر : يامعاشر العرب : لقد سمعت رستم يقول: أكل عمر بن الخطاب كبدى ! وإن الحديد لفى ايديكم ، وإن الايمان لفى قلوبكم ؛ فحقّقوا بهما قول رستم ، ثم أروه أن أمير المؤمنين لن يكتفى بكبده حتى ينال كبد بلاده أجمع فيطعمها خالصة للمسلمين . إنكم إذ تقاتلونهم إنما تنتظرون ميراثكم وموعود ربكم إذ قال عز وجل : ولقد كتبنا فى الزّبور من بعد الذكر أن الأرض يرثُها عبادى الصالحون !

سعد : هذا ورب الكعبة صوت المغيرة بن شعبة

خالد : أجل إنه هو . وهذا أبو محجن الثقفىّ قد أقبل يتهادى فى الناس

سعد : لعله يريد أن ينشدهم شعراً

صوت ابى محجن: أيها الناس : لقد سمعتم هؤلاء فأصغوا الآن لقولى

صوات : هات ما عندك : قل يا ابا محجن !

صوت ابى محجن: (يترنم)

اذا متُّ فادفنّى الى أصل كرمة
تروّى عظامى بعد موتى عروقها !
ولا تدفننى فى الفلاة ، فاننى
أخاف اذا ما متُّ أن لا أذوقُها !

اصوات : اسكتْ أخزاك الله ! أهذا دعوتنا أن نسمع ؟

سعد : (يغضب) ما إخال الشقى إلا سكران .. أسكتوه وائتونى به

خالد : أسكتوه وائتونى به !

(يظهر ثلاثة من الشرطة امام خالد وهم يسوقون ابا محجن امامهم وهو يترنح ترنح الثمل)

خالد : اصعدوا به إلى الأمير

(يمثل أبو محجن أمام سعد وحوله الشرطة)

سعد : ويلك ياابا محجن . أما تستحى أن تلقى على المسلمين فى موقف كهذا أشعاراً فى الخمر ؟

أبو محجن : إنما هى أبيات هجمتْ على خاطرى فترنمت بها . وأنت تعلم أن لو اشتهتْ عينى رؤية الخمر لما وجدتُ اليها سبيلا فى هذا القفر . فلا أقل من أن أتغنى بها .

سعد : هلا حرّضت المسلمين بشعرك على الجهاد كما فعل الشماخ والحطيئة وعبدة بن الطبيب وأوس بن مغراء ؟

أبو محجن : ما يسرنى أن أكون مثلهم . إنما هؤلاء قوّالون وليسوا بفعّالين . إنهم لا يبلون فى الحرب بلائى ولا يغنون غنائى .

سعد : ما ضرك لو جمعت بين الحُسنَيَيْن ، فأريتنا خيرك ، وكففت عنا شرك .

أبو محجن : إنى لأعلم بنفسى منك ياسعد ، لقد حاسبت نفسى فوجدت أن خيرى يرجح على شرى

سعد : (يحد النظر اليه) ما هذا الترنح فى عِطفيك ؟ أجئتنى شارباً يافاسق ؟ هلمّ ادنُ منى

أبو محجن : من الخير أن لا تشم فمى ياسعد ، فربما تجد فيه عبق الخمر من طول ما شربتها فى العهود السالفة

سعد : دعنى من اعتذاراتك . . ادنُ منى !

(يدنو أبو محجن من سعد)

سعد : (يشم رائحة الخمر من فيه) لقد والله شربتها اليوم ولم تتب ، بعد أن حُدِدت فيها مرة بعد مرة

أبو محجن : إى والله لقد باكرتها اليوم مشعشعة صافية ! وستقيم علىّ الحدّ فأشربها غداً وتقيم الحد فأشربها بعد غد !

سعد : ويلك ما أجرأك على الله ! أتعتقد حِلّها !

أبو محجن : (مستظرفا) أعتقد حلّها ! لا والله لأن تتخطفنى الطير ، أو تنزل على رأسى صاعقة من السماء أهونُ علىّ من أن أحِلّ ما حرّم الله . ولكنى أرجو مغفرة ربى سبحانه ، ورحمته التى وسعت كل شىء فلا تضيّقها ياسعد

سعد : والله لأقيمن عليك الحد ، ولأثمنها ثمانين جلدة سُنَّةَ عُمر !

أبو محجن : والله لا أبالى أربعين أو ثمانين أو أكثر . فانى لا أخاف الحد ، بل أستحبّه كفارة لى ترحض عنى الاثم وتمحو الخطيئة . بيد أنى أنشدك الله ياأمير الجيش أن تؤجل ذلك حتى أشهد حرب اليوم ؛ فإن أكرمنى الله بالشهادة ، فلن يضرنى معها كأس شربتها مُترعة ! وإلاّ ففى غد متّسع لإقامة الحدود .

سعد : لقد شغلتنى وشغلت المسلمين لحاك الله ! والله لأحبسنّك إلى الغد

(للشرطة) خذوه إلى المحبس !

أبو محجن : لا ياسعدُ سعدَ بنى وُهيب ، ياخال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبلغنى ريقى !

سعد : قد فعلت فماذا أنت قائل ؟

أبو محجن : أعفنى من الحبس ودعنى أقاتل مع المسلمين ، فما ينبغى لفارس مثلى ان يحبس اليوم ، ثم اصنع بى بعد ذلك ماتشاء

سعد : لا أعفيك من الحبس حتى تعاهدنى أن لاتعود الى الخمر أبداً

أبو محجن : لا أرضى لنفسى الكذب على ربّى وعلى الناس . أما التوبة عن الصهباء فلا !

سعد : إذَنْ فإلى المحبس !

أبو محجن : إذَنْ تحرم المسلمين بلاء سيفى

سعد : لاحاجة بالمسلمين إلى سيفك . اين أنت من القعقاع بن عمرو وطليحة بن خُويلد والزِبّيل بن عمرو وحمّال بن مالك وابى ثور عمرو بن معد يكرب وأولئك الأبطال ؟

(للشرطة) اخرجوا به إلى المحبس فقيّدوا يديه ورجليه

(يسوقه الشرطة أمامهم حتى يظهر فى المحبس من شباكه الحديدى والقيد فى يديه)

سعد : (لخالد) ماذا جدعندك ياخالد ، فقد شغلنى هذا الثقفى الشقى ؟

خالد . إن الناس قد استبطأوا تكبيرتك الثالثة . وتلك جموع العدو قد تكاملت صفوفها ، وذاك رستم كبير القوم قدخرج. وما أرى إلاّ أنهم سيبدأوننا القتال

سعد : ألم تأت فيلتهم ؟

خالد : ما أحسبهم يقاتلون بها اليوم ، ولو أرادوا ذلك لقد أخرجوها

سعد : الحمد لله . كفى الله المؤمنين شرها . إنك ياخالد لحديد البصر فأشِرْ لى إلى الجهة التى فيها رستم .

خالد : (يشير باصبعه) انظر هذا النحو ، أترى ثمّ شيئاً يخطف البصر ؟

سعد : (بحدق) نَعَمْ ويحك

خالد : فهو ذاك محمولا فوق سريره ، على رأسه التاج يلمع

سعد : فلأكبر الثالثة إذاً . . آذِنهم بها ياخالد

خالد : إن الامير مكبر الآن تكبيرته الثالثة فاذا كبّر فليبرز اولو النجدة من الفرسان أمام الصف ، فإنما أول القتال المبارزة .

سعد : (بأعلى صوته) الله اكبر !

خالد : (بأعلى صوته) الله اكبر !

اصوات المسلمين: الله اكبر ! الله اكبر ! الله اكبر !

سعد : إن فارس تأخذ بالفأل ، وستختار أشجع فرسانها جميعاً ليكون أول مبارز . فما رأيك ياخالد أى فرساننا نختار ليكون أول مبارز ؟

خالد : أرى أن تختار عمرو بن معد يكرب

سعد : أنعم وأكرِمْ بأبي ثور فارس العرب

خالد : أآمره بذلك ؟

سعد : نَعَمْ مره فليكنْ أوّل مبارز — ولكن مهلاً ياخالد ! هذا فارس قد ندر أمام الصف يطلب البراز فمن هو ؟

خالد : هذا القعقاع بن عمرو التميمىّ

سعد : دعه فقد اختاره الله وهو أعلم بما يختار . أشهد أن ابا بكر قال فيه إنه فى الجيش خير من الف رجل

خالد : ليت شعرى من يبرز له من فرسان العدوّ ؟

سعد : إن صدق ظنى فسيبرز له ذو الحاجب بطل يوم الجسر ،

فهو أشدهم وطأة على العرب ، وأكبرهم هيبة فى صدورهم
منذ مقتل ابى عبيد وسليط وأصحابهما فى وقعة الجسر

خالد : ها قد برز فارسهم المعلم كأنه سارية !

سعد : سلهم من هو

خالد : (لمن يليه من مبلغى القلب) سلوا من فارس العدو

سعد : ها هما يجتلدان . . اللهم ثبّت القعقاع

خالد : يتصاولان . . . سترهما الغبار . . . هوى أحد الفارسين !

سعد : اللهم اجعله العلج !

اصوات المسلمين: الله اكبر !

خالد : اجل ، هو العلج الذى هوى

اصوات المسلمين: الله اكبر هلك ذو الحاجب ! يالثارات ابى عبيد وسليط !

سعد : اجل ، يالثارات ابى عبيد وسليط !

خالد : هذان فارسان آخران قد برزا للقعقاع

سعد : ويحه . . أيقاتلهما وحده ؟

خالد : لا فهذا الحارث بن ظبيان قد انضم اليه

سعد : اللهم انصر القعقاع وصاحبه

خالد : هوى فارسان منهم

سعد : اللهم اجعلهما العلجين !

أصوات المسلمين: الله أكبر ! هلك البيرزان !

سعد : ذاك القعقاع وحده ، أين الحارث بن ظبيان صاحبه ؟

خالد : رجع إلى الصف . اسمع القعقاع يرتجز

صوت القعقاع : (يدوى كالرعد)

قد علمتْ مصقولة الترائبْ

ذات العيون السود والحواجبْ

أنِّيَ سمُّ البطل المحاربْ

حملتُ بالسيف على ذى الحاجبْ

فأصبح اليوم كأمس الذاهبْ !

والبيرزان رعته بالقاضبْ

ماضى الغرار كالقضاء الغالبْ !

سعد : إيه ياقعقاع ! إيه يافارس تميم !

خالد : لم يبرز له أحد من القوم .

صوت القعقاع : ياأبطال المسلمين ! مكانكم ! أمهلونى حتى أقتل من صناديدهم عدد أيام الشهر ثم ابرزوا لهم .

خالد : ما أرى القعقاع إلا طالباً للشهادة .

سعد : لاتخش عليه .

صوت القعقاع : يامعشر فارس : إن ذا الحاجب كان أقواكم فقتلته، ولست بأقوى قومى ! فإن شئتم أن تأخذوا بثأره منى فليبرزلى أبطالكم واحدا بعد واحد .

خالد : لقد طلب والله أمراً عظيما .

سعد : لاعظيم على فارس تميم !

خالد : هاقد برز له فارس من العدو .

صوت القعقاع : أيها المسلمون عدّوا من ثلاثة !

أصوات المسلمين: الله أكبر !

سعد وخالد : ثلاثة . . .

صوت القعقاع : أيها المسلمون ! والله ليقتلنّ أخوكم الثلاثين ، فعدّوا ولا تكبّروا إلا عند تمام العدّة . فانما الثلاثون من هؤلاء كواحد منكم !

سعد وخالد : (يعدان باصابعهما) اربعة . . . خمسة . . . ستة . . . سبعة . ثمانية . . . . تسعة . . . عشرة . . . احد عشر . . . . اثنا عشر . . . ثلاثة عشر . . . اربعة عشر . . . خمسة عشر . . . ستة عشر . . . سبعة عشر . . . ثمانية عشر . تسعة عشر .

صوت القعقاع : أعرنى سيفك ياطليحة !

خالد : خان القعقاعَ سيفه .

سعد : لن يخونه قلبه !

خالد : أعاره طليحة سيفه .

سعد وخالد : عشرون . . . واحد وعشرون . . . اثنان وعشرون . . ثلاثة وعشرون . . . اربعة وعشرون . . . خمسة وعشرون ستة وعشرون . . . سبعة وعشرون . . . ثمانية وعشرون

خالد : لم يبق إلا اثنان من التكبير .

سعد : أَجَلْ . . اثنان

سعد وخالد : تسعة وعشرون .

خالد : انتحى القعقاع جانبا . .

سعد : عجباً . . ماله ؟ أتراه أصيب ؟

خالد : لا أدرى .

صوت القعقاع : يامعاشر فارس . ياجنود كسرى ! إنه لم يبق لكم إلا بطل واحد ليقتلني . فخير لكم أن تدعوا كبيركم رستما يخرج لى ليحول بيني وبين قسمي الذى حلفته !

خالد : لله أبوه ! يطلب رستماً للمبارزة . ليت شعرى أيبرز له رستم ؟

سعد : ماأظنه فاعلاً . . إن كبرياءه تمنعه دون ذلك .

خالد : هذا فارس منهم قد برز .

سعد : أهو رستم ويحك ؟

خالد : كلا فذاك تاج رستم باق حيث كان . وإنما هذا رجل عربيّ الزيّ والهيئة .

سعد : لعله ترجمانهم ليقول شيئاً .

صوت الترجمان: يامعاشر العرب ! إنه ليس بينكم رجل هو كفٌّ لرستم . فان أبيتم إلا أن تروا بأسه فليخرج له أميركم من قصره

سعد : أنصف والله رستم . . ويح ابن أبي وقاص ! قبّح الله يوماً أدعى فيه للنزال فلا أجيب ! ياليتني متُّ قبل هذا اليوم!

صوت القعقاع . أبلغ رستماً عنا أننا معاشر العرب لايستعبد بعضنا بعضاً مثلكم ، فكلنا عند كلنا سواء . وإنما نتفاضل بالتقوى والفعال. أما أنت يارستم فانما طلبت أميرنا للخروج لأنك تعلم عذره، ولو أقلّت أميرنا فرسه لأجابك إلى ماسألت !

خالد : أقبل الفارس الذى بعثه رستم .

صوت القعقاع : هلم يا فارس ! لقد وقيت رستما بنفسك . أيها المسلمون هذا تمام الثلاثين فكبروا !

أصوات المسلمين: الله أكبر !

صوت القعقاع : ياأبطال العرب ! قد أبرّ الله قسم أخيكم فهلمّوا الآن فنازلوا أعلام العدوّ . اخرج ياعمرو يابن معد يكرب !

صوت عمرو : سميعا دعوت ! أنا أبو ثور أنا فارس العرب !

خالد : هذا أبو ثور قد خرج كأنه جبل على فرس !

سعد : ايه ياأخا الصمصامة !

صوت عمرو : أنا ابن معديكرب المرهوبُ قد علمت ريحانةُ اللّعوب
أنى اذا ما وهت القلوبُ خوفاً، أكول للعداشروبُ

خالد : ها قد برز له فارس جسيم لم أر مثله عظما .

سعد : قد عرف القوم من يختارونه للقاء أبي ثور .

خالد : أجلْ اختاروا له جبلا مثله .

صوت عمرو : يامعاشر العرب . أرأيتم هذا الثور الضخم ؟ انظروا ماذا أصنع به .

خالد : عجباً ! لم يحمل عمرو سيفه بيده . . إنما بيده الترس وحدها

سعد : أبالترس وحدها يلقى هذا الهولة ؟

خالد : شدّ عليه عمرو . . . أهوى العلجُ عليه بسيفه . . . اتقى عمرو ضربته بترسه . . . الله أكبر . . . وثب إلى العلج على جواده . . . أقله عالياً بيديه كأنه جبل على جبل على فرس ! رمى به إلى الأرض !

أصوات المسلمين: الله أكبر !

سعد : (يبتسم) قاتلك الله ياأبا ثور !

صوت عمرو : أيها المسلمون ! اصنعوا كما أصنع واذبحوهم هكذا .

خالد : احتز عمرو رأسه . . ، رمى به فوق صفوف العدو !

سعد : والله ليهيجنّ العدو بماصنع . آذنهم بالتكبيرة الرابعة ياخالد

خالد : أيها المسلمون . سيكبر أميركم الرابعة فاذا كبر فاحملوا على القوم ، والله ناصركم .

سعد : (بأعلى صوته) الله أكبر !

خالد : (بأعلى صوته) الله أكبر !

أصوات المسلمين: الله أكبر !

خالد : حمل المسلمون والتحم القتال .

سعد : (يدعو) اللهم انصر المسلمين ! اللهم نصراً كنصر الشام ! ليت البلقاء تحملني . ويح لي مكبا على وجهي كالشيخ الهرم! كيف ترى الناس ياخالد ؟

خالد : الميمنة غالبة على ميسرة العدو

سعد : لله در بني أسد . هناك البطل طليحة بن خويلد

خالد : وهذا القلب بخير

سعد : غفر الله لبني تميم ! هنـاك القعقاع بن عمرو ! أما ترى الميسرة تتقهقر ياخالد ؟

خالد : أجلْ ، تلك خيول العدو تريد بها الإحداق .

سعد : مر طليحة فلينجد الميسرة .

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلى بالميمنة — صلى ببني اسد — صلى بطُليحة بن خُويلد — أدزك الميسرة يا طليحة

سعد : لله در القعقاع ! هذه خيوله ترد تترى فرقة بعد فرقة . ليت هاشماً قد جاء بجيشه . اللهم اطو له الأرض طياً ، اللهم أمدد به المسلمين !

خالد : هاقد أقبل طليحة ورجاله من خلف الميمنة

سعد : غفر الله لك ياطليحة ، لئن ادّعيت النبوة يوماً وكفرت لقد أبليت اليوم بلاء يمحو ماتقدم من ذنبك .

(لغلمانه) حوّلونى إلى الجانب الآخر .

(يحمل الغلمان سرير سعد إلى الجانب الآخر من الشرفة حيث يغيب عن الأنظار)

(يمشى خالد على المصطبة حتى يتوارى ليكون قريبا من سعد)

(يتحرك السجف الذى على نافذة الغرفة التى فيها سلمى زوجة سعد)

صوت سلمى : وامثنّـياه ! ولا مثنّى للخيل اليوم !

أبو محجن : (متطلعا من شباك الحبس) صدقت والله : لامُثنّى للخيل اليوم ولا أبامحجن لها . بربّك ياسلمى يابنت آل خصفة ويازوج سعد إلاّ ماأصغيتِ لما أقول .

صوت سلمى : من أنت يرحمك الله ؟

أبو محجن : أنا أبو محجن الثقفىّ .

صوت سلمى : ماذا تريد ؟

أبو محجن : أفى الحق ياسلمى أن أنظر إلى المسلمين وهم يقاتلون العدو وبأس العدو عليهم شديد فلا أقاتل معهم ؟

صوت سلمى : فما يمنعك من ذلك ؟

أبو محجن : يمنعنى هذا القيد فى يدىّ وهذا الأدهم فى رجلىّ وهذا الباب الحديد المقفل !

صوت سلمى : أفى المحبس أنت ويحك ؟

أبو محجن : نعم ، فهل لك ياسلمى الى خير ؟

صوت سلمى : وما ذاك ؟

أبو محجن : تأمرين غلامك فيخلى عنى ويعيرنى البلقاء فرس سعد

صوت سلمى : أتريد أن تهرب من الحبس ؟

أبو محجن : لا والله الذى لا آله إلا هو ما الهرب قصدى ، وإنما أريد القتال مع المسلمين . ولك علىّ عهد الله وميثاقه لئن سلّمنى الله لأرجعن اليك حتى أضع رجلى فى القيد حيث انا

صوت سلمى : هلا سألت أمير الجيش ذلك ؟

أبو محجن : قد والله سألته وألححتُ فلم يقبل منى

صوت سلمى : إذاً فأنا عن قبول ما سألت أعجز . والله ليغضبنّ سعد إن فعلت

أبو محجن : لن يدرى سعد بشىء من أمرى

صوت سلمى : قد يتفقدك فلا يجدك حيث أنت .

أبو محجن : إن سعداً لفى شغل شاغل عنى فأنّى يتفقدنى ؟

صوت سلمى : كلا لا أجسر على ذلك

أبو محجن : آه إن لم تفعلى فويح أبى محجن أبد الدهر !

(يترنم بصوت حزين مؤثر)

كفى حزناً أن تردىَ الخيل بالقنا
وأتركَ مشدوداً علىّ وثاقيا
اذا قمتُ عنّانى الحديد ، وغُلّقتْ
مصاريعُ من دونى تصم المناديا !
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة
فقد تركونى واحداً لا أخاليا

لقد شف جسمى أن أظل بمحبس
أعالج قيـــداً مصمتاً قد برانيا
فلله درّى يوم أترك مُوثَقاً
وتذهل عنى أسرتى ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت
ويُغْمِل غيرى يوم ذاك العواليا
سُليمى ، دعينى أرو سيفى من العِدَا
فسيفى أضحى — ويحه — اليوم صاديا !
دعينى أجُلْ فى حومة الخيل جولة
تفرّج من همى وتحيي فؤاديا
دعينى أخُضْ ذاك الغبار ، فانه
سلامٌ على قلبي ، شفاءٌ لما بيا
يقطّع قلبي حسرةً أن أرى الوغى
ولا سامعٌ صوتى ولا من يرانيا !
وأن أشهد الإسلام يدعو مغوّثاً
فلا أنجد الاسلام حين دعانيا
فياليتنى لم أشرب الخمر مرةً
حياتى ، فمنها قد لقيتُ الدواهيا

نهانى عنها الدين دين محمد
فياليتنى لم أعصه إذ نهانيا
ولله عهدٌ لا أخيس بعهده
لئن فُرجت أن لا ازور الحوانيا
سليمى ، أغيثينى ، فقد مزق الأسى
فؤادى ، وبل الدمع منى ردائيا
سليمى اصنعى لله ما انتِ أهله
يكنْ لك ربّ العرش عنى جازيا
ولله عهد حين أنجو من الردى
أعيد لرجلىّ الوثاق مكانيا

صوت سلمى : ما أراك إلا صادقا فى مقالك يا ابا محجن . ولكنى أخشى أن يتفقدك سعد فلا يجدك فى المحبس فيعلم أنى أمرت بإطلاقك

أبو محجن : قد قلت لك يابنت آل خصفة إن سعداً لنى شغل عنى فلن يتفقدنى ، وإن خشيت ذلك بَعْدُ فرى غلامك فليكن فى المحبس مكانى حتى أعود

صوت سلمى : ولكن الناس سيرونك فى الميدان فيعرفونك

أبو محجن : كلا لن يعرف أحد من أنا ، فسأغير هيئتى ، وألوث عمامتى على وجه لا يعرفنى فيه حتى ابن عمى

صوت سلمى : أما هذا فنعم . . . (تقول لغلامها) انزل ياغلام فأطلق سراح هذا الرجل واحلل انت مكانه حتى يعود

(يظهر الغلام عند أبي محجن فيحل القيد عنه)

أبو محجن : شكر الله سعيك يازوج سعد . ألا تأمرين الغلام بأن يعيرني البلقاء ؟

صوت سلمى : أما البلقاء فلا والله لا أعيرك إياها

أبو محجن : إذَنْ آخذها من الاصطبل

صوت سلمى : انت وذاك

(يخرج ابو محجن من المحبس ويبقى الغلام فيه حيث ينعس فينام)

(يعود سعد الى مكانه الأول من الشرفة ، ويتبعه خالد فيقف على المصطبة حيث كان)

خالد : الله اكبر . . من هذا الفارس المنطلق ؟ أحسبه هاشماً ابن اخيك

سعد : كلا ما هذا بهاشم بن عتبة

خالد : فمن هو إذاً ؟

سعد : لا أدرى والله من هو . . . عجباً ، القد قدّ أبي محجن والفرس فرسي البلقاء . . ولكن ابا محجن في الحبس ، والبلقاء في الاصطبل

خالد : ها هو ذاك انطلق إلى الميمنة . . يحمل على ميسرة العدو . . يقصف أبطالهم قصفاً ؟

سعد : إيه أبا محجن ! أستغفر الله . . أبو محجن فى الحبس . . . اين انطلق الآن ؟ لم أعد أراه

خالد : ستره الغبار

سعد : ما أحسبه إلا استشهد رحمه الله !

خالد : بل هو ذاك انحسر عنه الغبار — لا بل الفرس وحدها عُرياً ليس عليها راكب !

سعد : عُرياً ! أكان ركبها عرياً ؟ لعله زل عن ظهرها . . ألم يجد فى المسلمين من يعيره سرجا ؟

خالد : قد وثب عليها فارس فركبها

سعد : أهو الفارس الأول ؟

خالد : لا أدرى . . . ها هوذا انطلق مقبلا

سعد : يظهر لى أنه الفارس الأول

خالد : الحق معك . . هو الفارس عينه

سعد : هذا والله أبو محجن .. أستغفر الله .. أبو محجن فى الحبس

خالد : دار خلف المسلمين

سعد : دخل فى غمار القلب

خالد : هو ذاك برز بين الصفين . . . طفق يلعب برمحه وسلاحه

سعد : ما أمهره لاعباً بسنانه !

خالد : تتحاماه الأبطال . . . يحمل على القوم . . . يقصفهم قصفاً منكرا

سعد : قد شغلنا هذا الفارس عن غيره . سل عنه من هو . تلك كندة دونه . . أرسل السؤال الى الأشعث بن قيس

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلني بالقلب . . صلني بكندة . . صلني بالأشعث بن قيس . . سله من فارس البلقاء ؟

سعد : اين اختفى فارس البلقاء ؟ لا اراه .

خالد : أحاطت به كوكبة من فرسان العدو

سعد : أهو وسط تلك الحلقة المفرغة من الفرسان ؟

خالد : أجلْ . . هو ثمّ . . وا أسفاه عليه !

سعد : أين أولو النجدات ؟ أين عمرو بن معد يكرب ؟ أين شرحبيل بن السِّمط ؟ أرسل إليهما لينجداه .

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلني بالقلب . . صلني بمذحج وبكندة أين أنت يا أبا ثور وأين أنت ياشرحبيل ؟ أنجدا الفارس المحاط به !

المبلغ الادنى : (لخالد) يقول الأشعث إنه لا يعرف فارس البلقاء وليس هناك من يعرفه .

سعد : عجباً ! لا يعرفه إحد . لو كانت الملائكة تباشر القتال لقلت إنه ملك !

خالد : إن يكن من الملائكة فلاخوف عليه من إحاطة الفرسان

سعد : أما يزال قائماً بينهم ؟

خالد : إن فرسه تدور بينهم كالخُذْروف وهو يدفعهم عن نفسه .
هاهو ذاك أبو ثور قد تقدم لنجدته :

سعد : أجلْ . ذاك أبو ثور . ومن ذاك خلفه ؟

خالد : شرحبيل بن السِّمط ورب الكعبة !

سعد : لله أبوه ! لينتزعنّ هذا الشاب رئاسة قومه من يد الأشعث بن قيس .

خالد : أما إنه لأحبُّ الى كندة من الأشعث

سعد : وأحبُّ إلى الله ورسوله منه .

خالد : دخلا فى زحمة الفرسان . . . انفرجت الحلقة .

سعد : الحمد لله !

خالد : أبو ثور يضرب بسيفه فيقد الفرسان وأفراسهم معهم . والآخران يطاعنا بالرماح !

سعد : لم يبق إلا ثلاثة فرسان .

خالد : هم أبطال الاسلام قد انكشف عنهم العدو !

سعد : إذاً لم يُصَبْ فارس البلقاء !

خالد : نعَمْ . . لم يُصَبْ بسوء . هاهم قد رجعوا إلى صفوف المسلمين .

سعد : اللهم اغفر لعمرو بن معد يكرب . . اللهم اغفر لشرحبيل ابن السِّمط . . اللهم اغفر لفارس البلقاء !

خالد : ليت شعري من فارس البلقاء هذا ؟

سعد : ما زلتُ في شك من أمره أن لا يكون أبا محجن الثقفي (لأحد غلمانه) انزل إلى المحبس يا غلام فانظر هل ترى به أحدا ؟

(يمضي الغلام)

خالد : ها هو ذا فارس البلقاء قد دار خلف المسلمين أيضاً يقصد الميسرة .

سعد : لو لم يكن أبو محجن في الحبس لأقسمت أنه هو .

خالد : برز إلى ميمنة القوم يلعب برمحه وسلاحه

(يعود الغلام)

سعد : (للغلام) ما عندك . . هل وجدته في المحبس ؟

الغلام : نعم وجدته نائما يغطّ

سعد : هل وجدت الباب مقفلا كما كان ؟

الغلام : نعم

سعد : قبحه الله ! يغطّ نائماً والمسلمون في بأس شديد !

خالد : حمل العدو حملة عنيفة . . انظر . . ! هؤلاء الثلاثون ألفاً المسلسلون قد زحفوا على القلب فزحزحوه

سعد : أجل . . لاحول ولاقوة إلاّ بالله . أين أبطال تميم ؟ أين القعقاع ابن عمرو ؟

خالد : إنهم لاريب يريدون هذا القصر لمكانك يا سعد . ألا ترى الأفضل أن نبرح هذا الموضع ؟

سعد : (غاضباً) ثكلتك أمك يا خالد ! أتدعونى للفرار ويلك ؟ كلا والله لا أبرح موضعى هذا حتى أقتل ! اللهم الطف بالمسلمين . . اللهم نصرك ووعدك ! أين القعقاع ؟ سل عنه ويلك أين هو ؟

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلنى بتميم . . سل عن القعقاع بن عمرو وأين هو ؟

(لسعد) هذه فرسان العدو يا سعد قد اخترقوا الصفوف من جانبي المسلمين !

سعد : اللهم حمى الوطيس . . اللهم وعدك ونصرك !

خالد : إن تميما لا تعرف أين غاب القعقاع !

سعد : يرحمه الله ! أتراه استشهد ولم يروه ؟ واهاً عليك يا فارس تميم !

خالد : هذان فارسان من العدو قد أقبلا نحونا منطلقين !

سعد : جرّد سيفك يا خالد وصح بالمُسلمين النجدة

خالد : (بأعلى صوته شاهراً سيفه) النجدة النجدة يا أبطال المسلمين ! القصر القصر !

صوت : لبّيك ياسعد ! أنا علباء بن جحش !

سعد : هذا علباء بن جحش العجلى . . . كرّ الفارسان عليه

خالد : شدّ علباء على أحدهما فأطار رأسه . . . أوّاه ! طعنه الآخر فى بطنه فخرّ على الأرض !

سعد : قام علباء فرمى بحربته على الفارس فأنشبها فى حلقه .

خالد : ويح علباء! أماتراه قدانتثرت أمعاؤه فى الأرض وهو يجمعها!

صوت علباء : رحم الله مسلماً أعاننى فأدخل لى أمعائى !

خالد : هذا رجل من المسلمين قد أدخل له أمعاءه .

صوت علباء : أرجو بها من ربنا ثوابا قد كنت ممن أحسن الضِرابا

سعد : أجلْ والله الجنّة !

خالد : ماأثبت جنانه ! ركض إلى الميدان ويد على بطنه وأخرى تحمل السيف .

سعد : اللهم ارحم علباء بن جحش !

خالد : ما العمل ياسعد . ما تزال جنود العدو تتقدم وجنودنا تتقهقرفى القلب والميسرة .

سعد : تلك الكتيبة المسلسلة كأنها قطعة صماء من الحديد هى التى زحزحت المسلمين القهقرى

خالد : أجلْ وفرسانهم يحمونها من حفافيها .

سعد : واهاً على القعقاع لو شهد !

خالد : الله أكبر ! ماهذه الأغوال السود قد مرقت من صفوف المسلمين إلى الميدان !

سعد : الله أكبر ! لم يمت القعقاع . . هذه أغواله السود . . ـه إبله المبرقعة بالسواد . هذه فيلة العرب !

خالد : أجفلت خيول العدو وولّت منهزمة لاتلوى على شيء . ارتطم بعضها فى الكتيبة المسلسلة ! انطلقت خيول المسلمين تطارد خيول العدو ! ارتد رستم إلى الوراء . . . انهزم رجاله . . .

أصوات المسلمين: (يدوى كالرعد) الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : مر المسلمين أن لايتعقّبوا العدو وراء المعبر .

خالد : (بأعلى صوته لمن يليه من المبلغين) أيها المسلمون قد أمر سعد أن لاتتعقبوا العدو وراء النهر !

سعد : انظر ياخالد. تلك الكتيبة المسلسلة تنهزم يطأ بعضها بعضا

خالد : والمسلمون وراءهم يعملون السيوف فى ظهورهم .

سعد : لن يجوز المعبر منهم أحد . . ليبيدنّهم المسلمون دونه . (يتنفس الصعداء) الحمد لله ، قد نفّس الله عن المسلمين وهزم العدو إلى حين . يوم بيوم .

خالد : غداً يجيء هاشم بالمدد

سعد : أجلْ إن شاء الله . غداً يكون الفصل !

الفصل الثانى

المنظر نفسه فى شرفة القصر . يظهر سعد بن أبى وقاص قاعداً على سريره وحوله المغيرة بن شعبة والقعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو وغلمان سعد الثلاثة .

القعقاع : لو تركتنا نجز نا المعبر فى إثر العدو لنكلنا به

سعد : ويلك يا قعقاع ، إن المسلمين قد لقوا بأساً شديداً أمس واليوم ، ووجيئت خيولهم فلا بأس أن يستجموا إلى الغد . وغداً يجىء هاشم بالمدد إن شاء الله فيكون للمسلمين قوة

عاصم بن عمرو : ليس لنا أن نغتر بارتداد العدو اليوم ، فغداً يعاودنا رستم بجموع أكبر عدداً ، وأكثر مددا

القعقاع : إذاً يجدونا إن شاء الله كما يسرّ الله ورسوله ويسوءهم

سعد : قد جاءنى اليوم رسول لأمير المؤمنين بأربعة أسياف وأربعة أفراس لأقسمها فيمن انتهى اليهم البلاء من أبطال المسلمين ، وأنتم أهل الرأى والمشورة ، فمن ترون أحقهم بها من سواهم ؟

(يسكت الثلاثة هنيهة)

المغيرة : (للقعقاع وعاصم) مالكما لا تنطقان ؟ لعلكما تخشيان أن لا تذكرانى بين المستحقين . والله لو علمت أنى أحدهم لطالبتُ بنصيبى من تكرمة عمر ، ولكنى أرى أن تعطى هذه

التكرمة لكما ولطليحة بن خويلد وحمال بن مالك والربيل ابن عمرو وعمرو بن معد يكرب. وأضيفوا اثنين آخرين اليهم

القعقاع : اين انت من الأبطال اليربوعيين الثلاثة ؟ فوالله إنهم لأحق الناس

سعد : اذاً يزيد عددهم واحداً ليس له شيء

عاصم : فليكن نصيبي لعمرو بن معد يكرب ، فإن ابا ثور يحب الزهو ، ويحتاج الى التألف

سعد : بارك الله فيك ياعاصم . ولكنكم نسيتم ايضاً فارس البلقاء فقد أبلى والله بلاء كبيراً

القعقاع : اجلْ . . بيد أننا لا نعرف من هو

عاصم : إنه ليشبه ابا محجن الثقفي

سعد : صدقت . . وفرسه تشبه البلقاء فرسي ، ولكن ابا محجن في الحبس ، وفرسي في الاصطبل

القعقاع : رأيت قوماً يحسبونه من الملائكة

عاصم : وسمعت آخرين يتحدثون انه الخضر عليه السلام

سعد : فيم سكتّ يابن شعبة . . . ما تقول انت فيه ؟

المغيرة : أما أنا فاني والله لا أخدع . إنه أبو محجن الثقفي نفسه بلحمه ودمه ، والفرس فرسك ياسعد

سعد : ولكني قد بعثت الغلام يتفقده حينئذٍ فوجده نائماً في المحبس يغط

المغيرة : هل بعثته ايضاً فتفقد الفرس فى الاصطبل ؟

سعد : لا والله لم يخطر هذا ببالى حينئذ

المغيرة : لا بد أنه انطاق وأقام مكانه غيره وخلفك على الفرس

(لأحد غلمان سعد) هلم معى ياغلام إلى الاصطبل

(يخرج المغيرة بن شعبة يتقدمه الغلام)

سعد : لقد شككنى المغيرة فى أمر هذا الفارس

عاصم : مُعضلةٌ ليس لها إلا المغيرة داهية العرب

القعقاع : لقد أعطيت القوس لباريها

(يعود المغيرة والغلام)

المغيرة : وجدتها تنهج إعياء، وترفض عرقا. فلاريب أنه أخذها فركبها .

سعد : (لاثنين من غلمانه) انزلا فائتيانى بأبى محجن .

أحد الغلامين : أنحُلّ عنه قيده ؟

سعد : كلا ويلك . . ائتيانى به فى قيده !

(يخرج الغلامان)

سعد : والله لئن يكن هو فارس البلقاء، لأطلقنّ سراحه ولأكافئنّه!

عاصم : أكرم به فارساً لولا استهتاره .

المغيرة : ماضرّكم لو تركتموه يقاتل مع المسلمين كما يشاء !

سعد : دعنى من هنيهاتك يامغيرة ! ما كنت لأدعه يرى المسلمين يتحاضون على الجهاد فى سبيل الله، فيتغنّى بينهم بأم الخبائث

(يعود الغلامان بأبى محجن يرسف فى قيوده)

أبو محجن : لعلك تريد أن تطلقنى الآن ياسعد بعد أن انتهى القتال .

سعد : دعنى من هذا ، ولكن قل لى فاصدقنى : أبرحت المحبس وانطلقت بالبلقاء إلى الميدان ساعة البأس ؟

أبو محجن : أنى لى ذاك يا سعد ودونى المصراع الحديد وهذه القيود فى يدىّ ورجلىّ ؟

عاصم : ولكنا رأينا فارساً يشبهك تمام الشبه يقاتل على البلقاء

أبو محجن : أين يذهب بحلومكم يا قوم ؟ أتجدّون معى أم تهزلون ؟

القعقاع : بل أنت هو ، وقد رأيناك جميعاً ، فلا تحاول الإنكار

أبو محجن : لعل الله شاء أن لا يحرمنى ثواب القتال وقد نويته ، فأرسل ملكا على صورتى ليقاتل مكانى !

سعد : فما بال البلقاء وجدناها تنهج إعياء وترفضّ عرقاً ؟

أبو محجن : لا أدرى ما بال الفرس . . . سلوها من ركبها ؟ وبعد فما يضر أمير الجيش خروج فرسه للقتال ، وهو قاعد فى القصر ؟ لقد نابت الفرس عن صاحبها فى القتال ، وناب الملك عنى!

سعد : ما أنت وذاك ويلك ؟ أئنك لتعيّرنى أيضاً بالقعود ؟

أبو محجن : لست أنا الذى عيّرك بالقعود يا سعد ، وإنما هو القائل

نقاتل حتى أنزل الله نصره وسعد ببـاب القادسية معصم
فأبنـا وقد آمت نسـاء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيّـمُ !

سعد : شد ما لقيت من قومى ! والله لولا خشيتى على المسلمين لاستعفيت من إمرة الجيش . قبّح الله يوماً أعيّر فيه بالجبن . والذى نفس سعد بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل كما ود حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك

المغيرة : هوّن عليك ياسعد إن مثلك لعمرى لايجبّن ، وقد شهدت المشاهد كلها مع رسول الله ، وكنت من السابقين الأولين

عاصم : وكنت أول من ذبّ عن رسول الله ، ووقاه بنفسه ، حتى فداك بأبيه وأمه ولم يجمعهما لأحد غيرك

سعد : (يرفع رأسه) اللهم إن كان قائل هذين البيتين كاذباً ، أو قالها رياء وسمعة ، فاقطع عنى لسانه ويده

أبو محجن : والله ماجنى على قائلهما أحد غيرى إذ هجتك عليه ياسعد . إنك — ما علمت وعلم المسلمون — لمجاب الدعوة

سعد : وإنك — ما علمت وعلم المسلمون — لسيء الأدب مستهتر . فقل لى من أطلقك وأعارك الفرس ؟

أبو محجن : والله ما أطلق رجلىّ أحد وما أعارنى الفرس أحد

المغيرة : أجل . . أطلق هو رجليه بنفسه . . سل الموكل بالفرس يخبرك يا سعد

سعد : (لأحد علمائه) ائتنى بميمون يا غلام

(يخرج الغلام ثم يعود ميمون)

سعد : هلمّ يا ميمون . . هل أعرت البلقاء لأحد ؟

ميمون : لا وعيشك ما أعرتها لأحد

سعد : والله لتقولن الحق أو لأوجعنك ضربا

(يبكى الغلام)

سعد : خذ سوطى هذا فاجلد الغلام ياقعقاع

(يسمع صوت سلمى من خلف الباب)

صوت سلمى : مهلا يا أمير الجيش . ! لا ذنب للغلام . أنا التى أمرته بإطلاق أبى محجن بعد أن وثقت بعهده أن يعود بعد القتال إلى المحبس والقيد . وقد فعل والله وأوفى بعهده

سعد : هيه يا أبا محجن . . أتكذبنى ويلك ؟

أبو محجن : لا والله ما كذبتك ياسعد وليس الكذب من شيمتى

سعد : ألم تحلف لى بأن أحداً ما أطلقك أو أعارك الفرس؟

أبو محجن : (يشير إلى المغيرة) سل هذا الداهية يجبك

المغيرة : لقد صدق أبو محجن ياسعد . إنه إنما حلف لك أن أحداً لم يطلق رجليه ، فقد أطلق هو رجليه بنفسه ، بعد أن أطلق الغلام يديه

سعد : (يضحك) ما رأيت أعجب منكما ماكرين ! . . والبلقاء ألم يعركها أحد ؟

أبو محجن : لا والله لا أكذب على زوجتك صاحبة الفضل علىّ فيما

صنعتْ لله ما هى أهـله . لقد سألت سلمى أن تأذن لى بالفرس فلم تفعل ، فسطوت على البلقاء غصباً . فإن أردت أن تعاقبنى على شىء ، فعاقبنى على أخذى الفرس دون إذن ذويها

سعد : كلا والله لاأعاقبك , لقد أبى الله أن تقاتل خيول المسلمين وتبقى البلقاء مربوطة فى الاصطبل . خذها إليك ياأبا محجن مكافأة لك على حسن بلائك

أبو محجن : ماذا أصنع بالبلقاء وأنا مقيد فى الحبس ؟

سعد : صدقت . . والله لا تعود إلى الحبس . أمط القيـــود عنه يا غلام

(يحل الغلام القيود عن يديه ورجليه)

أبو محجن : شكراً لك يا ابن أبى وقاص . . إنك لأمير كريم

سعد : لاتشكرنى واشكر صاحبة الفضل عليك سلمى بنت آل خصفة ! لاكنتُ ابنَ حرّة إن أغضبتها أو عتبت عليها بعد اليوم !

صوت سلمى : غفر الله لك ياسعد . . لئن كنت أغضبتنى لأنا الجانية عليك الظالمة لك ، إذ لمتك على قعودك عن القتال وأنت على حالك لا تستطيع الحركة أو النهوض .

سعد : يغفر الله لك ياسلمى . . هل نهض عندك عذرى الآن ؟

صوت سلمى : يشهد الله إنها لكلمة أرسلتها عن غير قصد منى . فهبها لى ياصاحب رسول الله ، فوالله ما اكتحلت عينى بنوم منذ قلتها .

سعد : لاعليك ياسلمى . . بل سامحينى أنت إذ لطمتك ، فقد ترين ما أنا فيه من الكرب وضيق العطن

صوت سلمى : أجـــلْ . . شفاك الله وعافاك ! والله لئن كنت لطمتنى لَبِيدٍ بايعتْ يمين رسول الله وذبت عنه فهى شرف لى

سعد : لاعدمتك يا سلمى . . بارك الله فيك

أبو محجن : إى والله ، وشكر سعيك يا بنت آل خصفة . إنك والله لكريمة عند بعل كريم !

سعد : أحسنت إذ شكرتها فإنها لربّة الفضل عليك

أبو محجن : لقد نسيت أمراً يا سعد

سعد : وما هو ويحك ؟

أبو محجن : أن تقيم حدّ الخمر علىّ

سعد : هيهات يا أبا محجن ، هيهات أن أكون أكرم لك من ربّى فأعفو عنك ولا يغفر الله لك عز وجّل

أبو محجن : ولكنها كفّارة لى أطهر بها من ذنبى

سعد : انى لأرجو أن قد غفر الله لك ، وكفر عن خطيئتك بما دفعت عن المسلمين اليوم . ولعل الله يتوب عليك فلا تعود لشربها أبداً

أبو محجن : (يترقرق الدمع فى عينيه) أشهدك الله يا سعد وأشهدكم معشر الحاضرين أنى قد كنت أشربها إذ كان الحدُّ يقام علىّ وأطهر منها ، فأمّا إذ أسقطه الأمير عنى فلا والله لا أشربها أبدا

سعد : أمَا إنى لأعلم أنك امرؤ صدوق يا أبا محجن

أبو محجن : ولكن . . . تبآ لى !

سعد : ماذا ويحك ؟

أبو محجن : أبياتٌ من الشعر أخذتْ تدب على لسانى ، لولا أنك تكره سماعها لقلتها .

سعد : قلها ولا حرج !

أبو محجن : إن كانت الخمر قد عزّتْ وقد مُنعَتْ
وحال من دونها الاسلام والحَرَجُ
فقد أباكرها صرْفاً ! وأمزجها
ريّاً ، وأطرب أحيانا وأمتزجُ
وقد تقوم على رأسى منعّمة
فيها إذا رفعتْ من صوتها غَنَجُ
ترفّع الصوت أحياناً وتخفضه
كما يطنّ ذباب الروضة الهَزِجُ
أستغفر الله من إثم نطقتُ به
تهفو به كبدى كرهاً وتختلج

سعد : لا حرج عليك إن شاء الله .

أبو محجن : ألا تدعو الله لى ياسعد فانك لمجاب الدعوة .

سعد : (رافعا يديه) اللهم اغفر لعبدك أبى محجن وتب عليه. اللهم بغضها إلى نفسه ، كما حبّبت إليه الجهاد فى سبيلك !

أبو محجن : فزت بدعوة سعد ورب الكعبة !

يا خمر ! لا حظّ لى فى تبرك أو فى لجينك
لقد صحبتُك حتىّ قضيت كامل دَيْنك
وكنتِ قرّة عينى وكنتُ قرّة عينك
فودّعى اليوم ، هذا فراق بينى وبينك !

(ستار الختام)

دار الفكر العربي

مؤسسة عربية للطباعة والنشر

شارع القصر العيني عمارة مارسبيني بالقاهرة

تليفون ٥٦٤٦٧

تظهر حديثاً

بين الحبشة والعرب، للاستاذ عبد المجيد عابدين مدرس اللغة الحبشية: ٢٥

موضوع جديد لم يطرقه مؤلف عربي من قبل، تقرأ فيه آراء جديدة في هجرة المسلمين إلى الحبشة، آثار الحبشة في البلاد الاسلامية، أصحاب الفيل. أصحاب الأخدود، الاسلام في الحبشة.

الحجاج سيف بني مروان، للاستاذ عبد الرازق حميده المدرس بدار العلوم: ٢٥

كتاب يعرض تاريخ رجل من رجالات بني أمية، الذين كان لهم فضل على السياسة والأدب وطار لهم ذكر في المشارق والمغارب، في أسلوب على دقيق ورعاية للحق وعناية بالشواهد والبراهين.

الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ٥٠

للدكتور عبد اللطيف حمزه المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد.

قدم له الأستاذ احمد أمين بك فقال «إن قراءة هذا الكتاب تدل دلالة قاطعة على ما بذله المؤلف من جهد مضنى وعناد متواصل في سبيل دعوة يضل سالكها وتصعب رؤية معالمها إلا بعون من الله».

قصصنا الشعبي، للدكتور فؤاد حسنين علي الاستاذ بكليه الآداب بجامعة فؤاد: ٣٠

قال فيه الاستاذ محمود تيمور بك «اطلت على أبحاث فنية عن قصصنا الشعبي دبجتها براعتكم الكريمة فراقني فيه تحليلكم الفني لهذه القصص واهتمامكم بالتعريف به فكتبت اليكم هذا لأعبر لكم عن صادق اعجابي».

المسرح عند شوقي ، للاستاذ محمود حامد شوكت : ٢٠

بحث فى المسرحية فى شعر شوقى وتقديم لتاريخ المسرح المصرى وظواهره من عصر الفراعنة حتى العصور الحديثة ، وتفسير مقومات مسرح شوقى من تأثره بالمسرح الأوربى والمسرح المصرى المعاصر مع تحليل ونقد كل مسرحية نقداً أدبياً .

قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام ، ١٨

للدكتور توفيق الطويل المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق :

سيرة الاضطهاد الدامى الذى أنزله الرومان بالمسيحية وشهدائها ، والكنيسة الكاثوليكية على خصومها من الكاثوليك والبروتستانت وغيرهم من رواد الفكر الحديث ، وتاريخ ماوقع فى الاسلام من مآسر الاضطهاد المرير مع دعوة للتسامح والحرية الدينية قبل أن تعرف أوربا هذه الحرية بأحد عشر قرناً من الزمان .

مرقص العميان ، للدكتور عارف العارف : ١٥

قصة رائعة تعرض حوادث فتى فقد البصر ولم يفقد البصيرة فصورت نزعاته وآراءه ، وآلامه وملذاته على الشيء ، وأطلعتنا على الشيء الكثير من دنيا العميان .

الأدب المقارن ، تأليف فان تيجم أستاذ الأدب بالسوربون : ٢٠

باكورة سلسلة الآداب العالمية التى تصدرها دار الفكر العربى من تأليف كبار الأساتذة وترجمة خير الكتاب العرب ، نقطة حاسمة فى تاريخ الدراسات الأدبية باللغة العربية .

سر الحاكم بأمر الله ، للاستاذ على احمد باكثير :

أقوى مسرحية ظهرت باللغة العربية ، تجلو شخصية الحاكم وتكشف سرها الذى حير المؤرخين . وقد فازت بالجائزة الممتازة فى مباراة وزارة الشئون الاجتماعية .

أطفال بلا أسر ، تأليف آنا فرويد وذروتى برلنجهام . تعريب الأستاذين : ٢٠

محمد بدران المراقب العام المساعد للثقافة بوزارة المعارف ورمزى يسى :

يبحث مشاكل الأطفال الذين يربون بالملاجىء ودور الحضانة ، كما يبحث فى العلاقة بين الأطفال وأنفسهم ، وبينهم وبين مربياتهم ، وبين أثر المعاهد فى نفوسهم كما يكشف عن الآثار التى تنجم عن حرمان الطفل من أسرته .